كتابات تاريخية موثقة في تصانيف العلامة نعمة الجزائري
(1050-1112هـ/ 1640-1700م)

أ.م.د. فردوس عبد الرحمن كريم

Received: 12/9/2021 Accepted: 11/11/2021 Published: 2022

كتابات تاريخية موثقة في تصانيف العلامة نعمة الجزائري
(1050-1112هـ/ 1640-1700م)

أ.م.د. فردوس عبد الرحمن كريم
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب- قسم التاريخ
drfirdowsa@uomustansiriyah.edu.iq
07729414206

مستخلص البحث:
في الصفحات المتقدمة طاقة خلاقة، نشأت وتعلمت وابدعت وانتجت في عصر وبيئة يكون الخلق والإبداع فيها من عالم الأحلام، لما تراكم في مطباتها من التلف والضعف وتنوعت وتعددت في طريقها العقبات والمعوقات التي حالت بينها وبين سبل التطور والازدهار الحضاري والفكري، ومع اشتداد الأزمات وترادف النكسات، برزت بعض المشاعل الوضاءة لتمنح الفكر العربي الإسلامي روح الديمومة والبقاء والمواصلة، ولو في أضواء خافتة لكي لا تتحول الحياة العربية الإسلامية إلى العدم . فكان العلامة الأديب المؤرخ نعمة الله الجزائري أحد الأفذاذ الذين ساهموا في مد حلقات التواصل الفكري والثقافي والأدبي والتأريخي في التراث العربي الإسلامي في عصره والعصور التي سبقته للارتباط بعد ذلك بالعصر الحديث. كان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعاً بطلب العلم ونشره وترويجه، كدوداً لا يفتر عنه ولا يمل، كان في أسفاره يستصحب معه ما يقدر عليه من الكتب، فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل، وربما يأخذ الكتاب بيده يطالع فيه وهو على ظهر الدابة في المسير، وكان من شدة ولعه من العلم والمعرفة أن قد ساح في كثير من البقاع والبلاد ولم يزل صبياً، وواجه أصنافاً من المشقات والمصائب في سبيل التحصيل حتى بلغ به الحال أنه لم يجد ما يسد به رمقه أو يضيء به سراجه للمطالعة، وكان يواجه الحياة بتصميم عجيب وارادة عالية وعزم لا يفل، دؤوب مثابر، يزداد تعلقاً واعتناء في كتبه، فنبغ في كثير من العلوم والفنون، وصنف في التأريخ والحديث والتفسير والفقه والنحو والأدب، ومعظم مؤلفاته نافعة للناس لأنها تمس حياتهم وتعالج حالهم وسلوكهم وتزرع فيهم حب الفضيلة والخير.

الكلمات المفتاحية: كتابات تاريخية، تصانيف، نعمة الجزائري، توثيق

1 - المقدمة:

تضافرت جهود وعزائم حثيثة وخلاقة على انعاش الحركة الثقافية والفكرية، حيث جرى ذلك منذ مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس الميلادي، برعاية أُسر علمية كريمة وزعامات ومشايخ قبلية واعية كانت تمثل الرئاسة السياسية والاجتماعية في جنوب العراق وشمال الخليج من حقب العصر الوسيط، بعد أن أفل نجم الخلافة العباسية. وفقت تلك الجهود الخيرة بتأسيس بعض البؤر الثقافية في البصرة والحويزة والدورق والفلاحية وتستر وجزر شط العرب والبطائح، فكانت الكتاتيب والمدارس والمكتبات وأعداد كبيرة من العلماء والشيوخ والطلاب رافقها بعد ذلك تسابق في طلب الثقافة والمعرفة، فأخذت المسيرة الفكرية تسري بهدوء وتؤدة وخطى متناقلة ومتعثرة أحياناً بين ثنايا تلك الاصقاع والقرى والمدن، كلما هدأت فورة العدو وصدئت شوكته [(1)]، توجه إليها أعداد من أساتذة ومفكري وعلماء ومؤرخي حواضر العراق والخليج والشام، فاستقبلهم وجهاء وأبناء جنوب العراق بالأحضان والتكريم والترحاب، فمكثوا بين ظهرانيهم يقودون حركة الثقافة والعلم والتاريخ والأدب،

يطوفون على مدنهم وقراهم يحثونهم على تحصيل المعارف بشتى صورها، ونتيجة لهذا الجهد المبذول والتضحية الزائدة والمثابرة الجادة في نشر فضيلة العلم والثقافة بدأت تظهر معالم تلك النهضة فتخرج عدد كبير من المتعلمين والأدباء والمشايخ والعلماء والكتاب والشعراء في مسيرة ثقافية رائدة شقت حجب ظلام جهل مطبق، وتحول عدد من تلك المدن والقرى إلى مراكز للتحصيل العلمي والثقافي بقدر ما كانت مراكز اقتصادية وسياسية واجتماعية ذات توجهات حضارية تنم عن قدرات شعبها وطموحه نحو الأفضل في الحياة الحرة الكريمة رغم تجهم وجشع العدو الغازي [2].

فالثقافة العربية الإسلامية لم تنقرض على نحو مطلق بانقراض الدولة العباسية، وإنما ظلت سائرة متجردة كلما أحاطت بها ببيئة صالحة انتعشت وأثمرت بنسب متفاوتة [3]، في تلك البيئة ذات التوجهات السياسية والثقافية العربية والإسلامية ، نبغ جماعة من الموهوبين وطلاب المعرفة في مجالات التاريخ والفكر الإسلامي والأدب العربي كان منهم العلامة الموسوعي صاحب التصانيف الغزيرة الشيخ نعمة الله بن عبد الله الجزائري (1050-1112هـ/ 1640-1700م)[4].

وجدت في دراسة سيرته وبعض آثاره وإبداعه الفكري والثقافي مناسبة لتقديم علم من أعلام التاريخ والثقافة العربية والإسلامية أبت آثاره أن تندثر رغم عوادي الزمان وتطاول عصور الاضمحلال والخمود، لبنة رصينة أُضيفت إلى تاريخنا الشامخ بالأمجاد والمبدعين، عثرت على بعض آثاره ونتاجه الفكري والتاريخي سوف نستعرضه في هذا البحث المتواضع، وقد اقتضت خطة البحث السير على النحو الآتي فيما يتعلق بالتاريخ أو في عداد التاريخ المتنوع :

1- المقدمة وتتضمن دواعي اختيار البحث وعرض موضوعاته.
2- التمهيد ويتناول سيرة العلامة نعمة الله الجزائري.
3- الموضوعات التاريخية التي وردت في مؤلفاته وتصانيفه :

أولاً: العناية بالوثائق التاريخية ونقلها بالنص أو الحديث عنها بالشواهد والرموز.

أ – رسالة اسكندر باشا الشركسي والي بغداد عام 1075-1567م إلى إمارة البطائح والجزائر شمال ولاية البصرة.

ب- جواب أمير البطائح والجزائر إلى والي بغداد اسكندر باشا .

ج- توثيق حصار القرنة واحتلال البصرة .

4- تاريخ حياة الأنبياء والمرسلين والرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار (:).
5- تاريخ سيرته الذاتية بأسلوبه الخاص.
6- تأصيل وتقويم بعض عناصر الثقافة الشعبية والتراث الشعبي والسلوك الاجتماعي تاريخياً (الفلكلور الشعبي والانثربولوجيا).
7- توثيق المسيرة التربوية والتعليمية والثقافية وأهم متطلباتها في عصره ووطنه.

2 - التمهيد : سيرة العلامة نعمة الجزائري :

ولد الشيخ العلامة نعمة الله الجزائري عام 1050هـ- 1640م، من اسرة عربية كريمة، في قرية الصباغية في جزيرة من جزر البطائح المتناثرة شمال شط العرب، شرقي نهر دجلة المطلة على فرع صغير ينحدر من الضفة اليسرى لجنوب نهر دجلة، نحو الشرق في وسط بطائح جنوب العراق يسمى الكحلاء، وكانت اسرته تمتهن زراعة الرز وتربية الجاموس وصيد السمك والطيور البرية، وكان في القرية مسجد ومكتب لتعليم الصبيان القراءة والكتابة واشياء من فنون المعرفة، لقد تحمل المشقات في سبيل تحصيل العلوم ودراسة الفنون لاسيما في اوائل صباه وشبابه، وانكب على الاشتغال بالعلم وجد في تحصيله، حتى أنه لم يكن له القدرة احياناً على شراء دهن السراج للمطالعة الليلية، ومهما بلغت به الحال من الشدة والقساوة نراه جاداً في كتابته، دائباً في عمله، مستمراً في خطته،

ساعياً في تحصيل ضالته المنشودة وبغيته المأمولة، لم يظهر فتور في همته العالية، رغم تلك الرزايا والمحن والظروف الصعبة، فحضر منذ نعومة أظفاره اندية العلم وحلقات التدريس ومجالس الاساتذة، جد واجتهد حتى بلغ الذروة العليا والدرجة القصوى وصار من اكابر كتاب عصره وعلماء زمانه.

كان والده من وجوه القرية البارزين وقد حصل على تعليم بسيط جعله يعرف فضائل العلم ويتحسس فوائده.. وبدأت رحلة شيخنا نعمة الله الجزائري في طلب الدراسة، بعد السنة الخامسة من عمره، على اثر حديث تشويق وترغيب استمر معه عدة ايام، كان يقوم به والده معه لكي يذهب إلى مكتب القرية لتعلم القراءة والكتابة كان الطفل شغوفاً باللعب واللهو الذي يتداوله اطفال القرية من اصحابه، وفي صباح احد الايام امسك به ابوه وقال له: تمضي معي إلى المعلم لكي تتعلم القراءة والكتابة وتكون طفلاً مهذباً ومحبوباً، فيبكي الطفل ويتململ ويحاول عدم الاستجابة لطلب ابيه، فقال له ابوه ان اصحابك هؤلاء الاطفال سيذهبون إلى المكتب ويتعلمون مثلك، وهكذا بين الشدة والاقناع مضى به ابوه إلى معلم المكتب، وطلب منه أن يعلمه أسوة بالآخرين من طلابه، فبدأ معهم من حروف الهجاء، وفي الايام الأولى من دخوله المكتب كان يتضجر ويشكو إلى أمه صعوبة الحياة الجديدة، ولكن والده كان يشدد عليه حتى شعر أن لا مهرب له من الدراسة فاخذ يدرس بإخلاص[5].

ويواظب على اداء واجباته المدرسية والدراسية، فختم القرآن الكريم في السنة الأولى، وحفظ الواناً من الشعر والنثر وفي السنة الثانية، بدأ دراسة مبادئ اولية من قواعد اللغة العربية من كتاب الامثلة وغيره، وبدأ يدرس فصولاً من السيرة النبوية الشريفة، وكان احد اساتذته أعمى يقوده بالعصا ويبالغ في خدمته اعتزازاً واحتراماً للعلم، وفي السنة الثالثة انتقل إلى مكتب آخر في قرية أخرى ليدرس الصرف والاعلال والابدال والادغام في كتاب الكافية، وكان استاذه يستعين به بعد الدرس على قطع الحشيش والاعشاب من بستانه لكي يعلف بها حيواناته، ويتلو عليه استاذه صيغ الصرف احياناً وهو يقطع الحشيش ثم يقوم بشد الحشيش حزمة كبيرة ويحملها مع الشيخ إلى بيته، أو يقوم بقطع أوراق التوت ليقدمها غذاء إلى ديدان القز التي تدر على ذلك الشيخ بالحرير، وفي السنة الدراسية الرابعة، رحل إلى قرية رابعة فيها شيخ فاضل يستكمل فيها دراسته على يديه في مسجد القرية، وفي أحد الايام يدخل رجل تعلوه عمامة كبيرة على رأسه كأنها قبة صغيرة، يرى فيها الناس انه صاحب علم ودراسة فتقدم منه الصبي وسأله عن صيغة من صيغ الصرف فلم يرد الجواب، فقال له الصبي إذا كنت لا تعرف هذه الصيغة فكيف وضعت على رأسك هذه العمامة الكبيرة فضحك الحاضرون وقام الرجل من ساعته[6]، فدفعت هذه الحادثة الصبي إلى اتقان صيغ الصرف وقواعده، على الرغم من ندمه على تجاوزه على ذلك الرجل الذي يكبره، وفي السنة الخامسة من دراسته تنقل بين قريتي عنتر وبني اسد تتلمذ على بعض المعلمين فيها، وفي سن العاشرة ذهب مع اخ له يكبره برفقة والدهما إلى مدينة الحويزة عاصمة إحدى الإمارات العربية في ذلك الوقت، وقد ركبوا سفينة صغيرة سلكت بهم مياه المستنقعات خلال غابات القصب والبردي ونباتات الاهوار الكثيفة، وبعد مشقة استمرت ثلاثة ايام وصلوا إلى مدينة الحويزة، وكانت هذه المدينة احدى المراكز العلمية والثقافية في جنوب شرق العراق، وقد انشئت فيها عشرات من المدارس والمساجد والمكتبات وسكن فيها عشرات من العلماء والادباء والشيوخ والمعلمين فاستضافهم فيها رجل من اكابرها اكثر من عام، فتتلمذ على عدد من افاضلها ومعلميها مختلف الدروس وخاصة في قواعد اللغة العربية ونحوها، فقرأ في كتاب شرح الجامي وشرح الشافية والفية ابن مالك... الخ[7]. وربما ساعد عدداً من اساتذته وشيوخه في بناء بيوتهم أو حمل معهم حاجاتهم من السوق وغير ذلك، وكان يجد متعة في خدمة شيوخه واساتذته لبركات انفاسهم الشريفة في الدرس، وكان يمكث مع زملائه في المدرسة بعد انصراف المعلمين والشيوخ عنها للمذاكرة ساعات طوال، فيفوته الغداء فيبقى جائعاً إلى وقت العشاء، وقد يتناول القشور أو ما

تبقى من فتات الطعام ليسد رمقه، وفي الليالي المقمرة يقرأ على ضوء القمر، فاذا جاءت الليالي السود يذاكر على ظهر قلبه حتى لا ينسى، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة الدراسية يغادر إلى اسرته، ويمكث بضعة اسابيع، ويسمع من احد ضيوفهم عن مدارس البصرة وعلمائها وطلابها ورعاية اميرها للعلماء والطلاب، فتثيره تلك الاخبار والمعلومات الثقافية، فيقرر هو وأخوه السفر إلى البصرة دون علم والدهما خشية ان يمنعهما من السفر البعيد، وفي البصرة يستضيفهما احد افاضلها مدة سنة، ويأخذان في التنقل بين مدارسها ومعلميها واساتذتها والحلقات الدراسية التي كانت تعقد في مساجدها وكانت البصرة في ذلك الوقت من أهم المراكز الثقافية والعلمية والادبية في الخليج العربي وجنوب العراق، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء والادباء، ولكن هذه البيئة الغنية في علمها وثقافتها لم تشبع نهم الصبي العلمي والثقافي، فقرر الارتحال إلى مدينة شيراز في الجهة الشرقية من الخليج العربي، التي تبعد قليلاً عن الشواطئ[8]، وكانت هذه المدينة من المراكز الثقافية والتجارية في الخليج العربي في ذلك الوقت ايضاً، وفيها عدد من المدارس والحلقات الدراسية في المساجد تدرس اللغة العربية وعلوم الشريعة والادب واللغة، وكان معظم اساتذتها وشيوخها من عرب الخليج العربي وجنوب العراق، فتسمع بالقاب الكعبي والتميمي والجزائري والمدني والبحراني والاحسائي والقطيفي والبصري، فركب سفينة من البصرة ومضى إلى بندر حماد وهو ميناء شيراز على شاطئ الخليج ومن هناك استأجر دابة حملته مع قافلة إلى شيراز فقطع تلك الطريق المتعبة وعمره 12 سنة، فحط رحله في مدرسة المنصورية وكانت أحدى المدارس المشهورة في تلك المدينة وفيها غرف اقامة وسكن لطلبة العلوم والاساتذة الغرباء، إلى جانب غرف الدراسة[9]، وقد قام ببناء هذه المدرسة العلامة غياث الدين بن معصوم احد اسلاف الاديب والمفكر الكبير علي بن معصوم المدني صاحب كتاب (سلافة العصر في محاسن اهل الشعر)، عين متولي المدرسة سكناً له في إحدى الغرف مع مجموعة من التلاميذ، وخصص له معاشاً يسيراً لا يكفي لمتطلباته الدراسية والمعاشية، فأخذ يكتب ويستنسخ للآخرين باجر، يعني اخذ يمتهن مهنة الوراقة، اضافة إلى كونه طالب علم، ليلبي حاجاته المعاشية والدراسية، ويتكلم عن بعض صور حياته في شيراز التي مكث فيها تسع سنين، تنقل فيها بين طالب علم ومعلم وورّاق، كل ذلك من أجل ان يستكمل تحصيله العلمي والادبي فيقول: (وكان حالي في وقت الصيف الحار أن طلبة العلم يصعدون إلى سطح المدرسة، وانا اغلق باب الحجرة، واسرع في المطالعة والحواشي وتصحيح الدرس إلى أن ينادي المؤذن لصلاة الفجر، وبعد صلاة الفجر اضع رأسي على الكتاب لأنام قليلاً، فإذا طلع الصبح شرعت في الدراسة إلى وقت الظهر، فقرأت علوم العربية عند رجل فاضل من أهل بغداد والأصول عند رجل محقق من اهل الاحساء، وعلم القراءة عن رجل فاضل من اهل البحرين، وكنا جماعة نقرأ عن الشيخ الجليل جعفر البحراني وكان يشجعنا على الدرس، وعلى فهم معناه من المطالعة، ويقول لنا أن الاستاذ انما هو للتيمن والتبرك، وإلا ففهم الدرس وتحقيق معناه إنما هو من مطالعة التلميذ)[10] وبعد صلاة الظهر أسعى لتحضير دروس اليوم الآخر، فربما أخذت قطعة خبز من دكان الخباز في طريقي فأكلها وانا امشي... وفي اغلب الاوقات ما كان يحصل فأبقى إلى الليل، وقد أتت علي ايام لا اقوى على شراء الطعام ودهن السراج للمطالعة، فكنت أذا اضاء القمر فتحت كتابي للمطالعة، وادير في جلوسي مع دوران ضوء القمر، وبقيت في شيراز تسع سنوات تقريباً اصابني فيها من الجوع والتعب ما لا يعلم به إلا الله...)[11]. وفي سن الخامسة عشرة بدأ باكورة تأليفه فألف في النحو (مفتاح اللبيب في شرح التهذيب) ليستمر بعدها في التأليف بأنواع فنون المعرفة والثقافة... ومن لطيف ما عرض له وهو في عمر التحصيل في ديار الغربة: ان أحد شيوخه في النحو من البحرين انفرد به ذات يوم بضع دقائق فأمسك بأذنه وعركها عركاً شديداً وقال: (ايها الولد اياك ان تجعل نفسك شيخاً للقبيلة، وتحب الرئاسة فيضع بها وقتك..) وفي مرة أخرى، تأخر فيها عن حضور

درس ذلك الشيخ بسبب انشغاله بمآتم احد اصدقائه، فلما جاء في اليوم التالي، امتنع الشيخ عن تدريسه، لأنه فرط في حضور الدرس، وقال له يجب أن تحضر الدرس، ثم بعد ذلك تذهب إلى عزاء صديقك، ثم أخذ عليه عهداً أن لا ينقطع عن الدرس مهما كانت الاحوال، حتى تنتهي مفردات المنهج الدراسي، وكان ذلك الاستاذ يعاقب تلاميذه إذا قصر احدهم في حضوره أو في تحضيره ومن صور عقوباته: (ان الطالب المقصر يحمل الطالب المتفوق على ظهره، ويتردد بين مكانين عدة مرات، ويذكر أن من تقاليد أولئك الاساتذة انهم لا يعنون كثيراً بالكتاب المؤلف حديثاً ما دام مؤلفه حياً، فإذا مات المؤلف عنوا بكتابه دراسة وشرحاً، فقد سأل احد اساتذته مرة عن كتاب تفسير نور الثقلين للمؤلف/ ابن جمعة البحراني، فقال الاستاذ مادام الشيخ المؤلف حياً فلا يساوي كتابه عندي شيء، فاذا مات انا أول من يكتبه بماء الذهب.. وأنشد:

تـــرى الفتـــى ينكـــر فضـــل الفتـــى ... لؤمـــا وبخـــلاً فـــإذا مـــا ذهـــب
لـــج بـــه الحـــرص علـــى نكتـــة ... يكتبهـــا عنـــه بمـــا الـــذهب[12]

ومن صور المشقة التي واجهته وهو في مهمته العلمية، أنه كان يتنقل في الليل بين معارفة واصدقائه لسد النقص الحاصل عنده في الكتب والمطالعة على سراجاتهم، أو القاء الدروس في المساجد ودور العلم، وبين مسكنه وهذه الاماكن التي يتردد عليها مسافات وازقة وميادين واسواق يقطعها مشياً على الاقدام، في ظلام الليل الدامس وليس معه غير العصا والكتب، فاذا اقترب من باب دار أو دكان اخذ يردد الاشعار والاناشيد بصوت عال، حتى لا تظن كلاب الحراسة انه سارق بل انه عابر سبيل، وبهذه الطريقة يخلص من مهاجمة الكلاب له وهو في عودته إلى مسكنه، وكان يؤثر الوحدة والانفراد لكي يتفرغ إلى الدرس والبحث، ومع ما كان عليه من الجد والاجتهاد، فقد كان كثيراً ما يخرج للتنزه في البساتين والبراري في مواسم الربيع مع الاصحاب والاعلام، ولكن الاشتغال بالكتب لا يفرط به... وفي سن العشرين يعود إلى وطنه في قرية الصباغية، ويستقبل استقبالاً رائعاً من قبل اسرته وعشيرته واصدقائه، لأنه صبر على مشقة طلب العلم والثقافة والغربة عن الاهل والوطن فصارت له مكانه اجتماعية مرموقة، يرجع إليه في أمور الدين والدنيا، ولكن هذه المكانة الرفيعة لم تحمله على الكسل والاهمال في اداء واجباته بل زادت من همته وحماسته.. فاخذ يتنقل بين القرى والقصبات في منطقة البطائح والجزائر، يوعظ ويعلم ويتلقى علماً، ومعه كتبه وقراطيسه يشتغل فيها اثناء سفره اينما حل ضيفاً، جرياً على عادة السلف الصالح من علماء العرب والمسلمين وكبار الادباء... وكان يخرج كتبه ليقرأ فيها وهو على ظهر الدابة، أو في الزورق والسفينة أو في اماكن الضيافة في حله وترحاله، حتى لمع اسمه وطار ذكره بين الامراء والشيوخ والوجهاء وعامة الناس، وكان مجلسه مجلس علم وادب وثقافة، واستاذ ومعلم وطالب علم اينما حل، واتسعت دائرة حركاته في العراق والخليج العربي والجزيرة العربية، وراسله عدد من امراء وحكام عصره ودعوه للاستقرار قريباً منهم، للانتفاع بمعاشرته والاستفادة من خبرته وتتلمذ عليه، من اشهرهم الشاعر والاديب الامير علي بن خلف الحويزي (1018- 1088هـ) امير الحويزة وقد جاء في رسائله له يستحثه فيها للقدوم عليه، والاستقرار قريباً منه في مدينة الحويزة عاصمة الدولة للاستفادة من جهوده العلمية[13].

واخيراً قرر الاستقرار في مدينة تستر التابعة إلى امارة الحويزة، واتخذها دار وطن فتولى، فيها مشيخة الاسلام وامامه الجمعة والجماعة وسائر المناصب الشرعية، وقام ببناء المساجد والمدارس في المدينة المذكورة، ولم تمض مدة حتى صارت مدينة تستر تقصد لتحصيل العلم، بجهود هذا الاديب والمربي والمؤرخ، الكبير وهو مواظب على التدريس والتعليم، حتى تكمل من تلامذته جماعة وصلوا إلى أعلى مقام من الفضل والعلم، وهكذا استمر يواصل اداء رسالته حتى وفاته عام

1112هـ- 1700م[14]. يعد الاديب نعمة الله الجزائري من كبار الكتاب في عصره، لما تميز به من كثرة المؤلفات والدراسات وتنوع الابحاث والموضوعات التي طرقها واستوعب عناصرها، واستقصى دقائقها، فلا يقف عند موضوع ذي بال تناوله في الكتابة إلا وضح معالمه بصورة وافية وعلى نحو يفيد القارئ، وهو في اسلوبه قد ابتعد كل البعد عن التصنيع والزينة اللفظية، فغايته بسط افكاره بألفاظ واضحة دون كلفة أو تنميق، ولم يشغل ذهنه بسجع أو ازدواج أو تشبيه أو استعارة، وإنما كان يستعين بالترسل لتوضيح افكاره بلغة لينة فصيحة ليس فيها توعر أو التواء، وكانت كتاباته تصب في عدة مجارٍ منها التاريخ، فقد عرج على عدة موضوعات تاريخية أو في عداد التاريخ .

3 - أما أهم الموضوعات التاريخية التي وردت في مؤلفاته وتصانيفه فهي:

أولاً: العناية بالوثائق التأريخية ونقلها بالنص أو الحديث عنها بالشواهد والرموز:

وثق عدداً من حملات العثمانيين على جنوب العراق وما رافقها من قتال ودمار المدن والقرى، وتهجير وقتل السكان، ومنها حملات اسكندر باشا الشركسي والي بغداد عام (1075هـ-1567م) على ولاية البصرة وإمارة البطائح من عدة جهات، وجرت بين والي بغداد الشركسي وأمير البطائح علي بن عليان الطائي بعض الرسائل السياسية قبل المباشرة بالقتال، ومنها هاتان الرسالتان اللتان ظفر بها الكاتب في مكتبة أحد مشايخ البطائح، فذكرهما في كتابه (زهر الربيع) كونهما وثيقتين مهمتين نادرتين في تاريخ العراق الحديث أو العثماني يصعب الحصول عليهما، وقد تناولت أحداثاً دامية جرت في بلاده، أراد إيصالها للأجيال الصاعدة، فدونها في أحد مؤلفاته للاحتفاظ بها، للدلالة على مستوى مقاومة أبناء الرافدين للنفوذ الأجنبي، ولولا مستوى إدراكه الرفيع لأهمية هاتين الوثيقتين من تاريخ العراق الحديث لما اعتنى بها ودونهما في تصانيفه المهمة في بيئة قلقة ومثقلة بعدم الاستقرار، يعد فيها الكتاب أو الوثيقة عملة نادرة .

أ - رسالة اسكندر باشا الشركسي والي بغداد عام 1075هـ-1567م

والقائد العثماني إلى الأمير علي بن عليان الطائي أمير إمارة الجزائر والبطائح شمال ولاية البصرة وجنوب الفرات، ضمن تلك الرسالة تهديداً ووعيداً لخروجهم على سلطة الحكومة العثمانية قال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أرى خلل الرماد وميض جمر ... وبوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام(*)

بعد حمد الله واهب الملك لمن يشاء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء البشير النذير محمد وآله الطيبين وأصحابه المتقين، فليعلم الأمير علي بن عليان، وقاضي المسلمين الشيخ محمد بن الحارث المنصوري، وجعفر الديلمي، وسائر المشايخ من أهل الجزائر، أننا جند الله، خلقنا من سخطه وسلطانه، على من حل عليه غضبه، فلكم فيما مضى معتبر، وفيمن قبلنا مزدجر، فاعتبروا في غيركم وسلموا إلينا أمركم، قبل أن يكشف الغطاء، ويحل عليكم منا الخطاء، لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، فقد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، وما يؤول من عزم على حربنا، فلقد خربنا البلاد، وأيتمنا الأولاد، وفعلنا في الأرض الفساد، فعليكم في الهرب، وعلينا في الطلب، وأي أرض تحويكم، وأي بلاد تنجيكم، فلا لكم من سيوفنا خلاص، ولا من سهامنا مناص، خيولنا سوابق، وسيوفنا بوارق، وسهامنا خوارق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فمن رام سلمنا سلم، ومن طلب حربنا ندم، ملكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، فأن أنتم

قبلتم شرطنا، واطعتم أمرنا، فلكم مالنا، وعليكم ما علينا، وأن خالفتم ووليتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم، فقد أعذر من أنذر وانصف من حذر، فالحصون من أيدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا ترد ولا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع، لأنكم أكلتم الحرام، وخنتم الإيمان، واستحللتم البهتان، والفسوق والطغيان، وأظهرتم البدع، وضيعتم الجمع، فابشروا بالذل والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تفسقون، وبما كنتم تستكبرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء/227، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وسلطنا عليكم من بيده الأمور المدبرة، والأحكام المقدرة، فعزيزكم لدينا ذليل وكثيركم في أعيننا قليل، فالويل ثم الويل لمن هو في أيدينا طويل، ولا من القضاء من أهوالنا مقيل، فنحن لنا الأرض شرقاً وغرباً، وذو الأمور سلباً ونهباً، ونأخذ كل سفينة غصباً، فميزوا في عقولكم طرق الصواب، واسرعوا إلينا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، ويلتهب شرارها، وتحيط أوزارها وتدهون منّا بأعظم داهية، وتصلون ناراً حامية، لا تبقى لكم جاهاً ولا عزاً، ولا تجدون دوننا حرزاً ولا كنزاً، فينادي عليكم منادي الفناء ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ مريم/ 98، فلقد أنصفنا لكم فيما أرسلنا إليكم، فردوا لنا جواب الكتاب قبل حلول العذاب، وكونوا على أمركم في المرصاد، وعلى رأيكم بالاقتصاد، فإن قرأتم الكتاب فاقرؤوا النحل وآخر صاد، وقد نثرنا جواهر الكلام وأتممنا بالسلام، والسلام على أهل الإسلام .

ب- جواب الأمير علي بن عليان الطائي أمير الجزائر والبطائح إلى والي بغداد اسكندر باشا:

فأجابه الشيخ المحقق الجليل محمد بن الحارث المنصوري -من تلاميذ الشيخ المحقق علي بن عبد العالي – نيابةً عن أهل الجزائر والبطائح، وعلى لسان الأمير علي بن عليان أمير البلاد في تلك الحقبة فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)﴾ آل عمران/ 26، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الصافات/ 182، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين: أما بعد فقد ورد إلينا كتاب، مخبر عن الحضرة الخاقانية، والدولة الرفيعة السلطانية، الاسكندر باشا نصره الله وأرشده، فهو عندنا صدر صحيح، وذو عقل رجيح، ولسان فصيح، اعلم هداك الله إلى طريق الرشاد، أما قولك فأننا مخلوقون من سخطه، ومسلطون على من حل عليه غضبه، لا نرق لمن بكى ولا نرحم لمن شكى، قد نزع الله الرحمة من قلوبكم، فذلك من أكبر عيوبكم، لأن هذا من صفات الشياطين، لا من صفات السلاطين، وكفى هذا شاهداً وموعظة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ* وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾الكافرون، وقلتم أننا أظهرنا البدع، وضيعنا الجمع، ونكسنا الأديان، وأظهرنا الفسوق والعصيان، فأن كان الشرك بفرعون معكزاً، فأنتم صرفتم للشر مركزاً، ألا أنكم أشر من قوم لوط وصالح، وما علمكم بنافع ولا صالح، فنحن الموفون حقاً، المعترفون بالولاية صدقاً، لا يدخلنا عيب، ولا يخالطنا ريب، القرآن علينا نزل، والرب بنا رحيم، لم يزل تحققنا تنزيله، وعرفنا تأويله، فنحن العارفون بالأصول والفروع، والعاملون بما أمرنا من المشروع، إنما النار لكم خلقت، ولجلودكم أضرمت، لأنكم منكرون أهل الولاية، ومقدمون عليهم الذين هم ليسوا من أهل الهداية، فالعجب العجب تهددون الليوث بالتيوس، والسباع بالضباع، والكماة بالقراع، خيولنا سوابق برقية، وترسنا مصرية، وأسيافنا يمانية، ورماحنا خطية، واكتافنا شديدة المضارب، وسلطاننا شاع ذكره بالمشارق والمغارب، فرساننا ليوث إذا ركبت، وخيولنا سوابق إذا طلبت، وسيوفنا قواطع إذا ضربت، ودروعنا جلودنا، وجيوشنا صدورنا، قلوبنا قوية لا تفزع، وجمعنا لا يروع، وقولكم عندنا تهديد، فنحن أهل الوعد وانتم أهل الوعيد، بقوة الله العزيز الحميد، لا يهولنا منكم تخويف، ولا يرجفنا منكم ترجيف، فأن أطعناكم فذلك طاعة، وأن قتلناكم فنعم البضاعة، وأن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة،

وأما قولكم قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فاعلموا أن القصاب لا يهوله كثرة الغنم، وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم أيكون من الموت فرار، وعلى الذل قرار، ألا ساء ما تحكمون، الفرار من الرزايا لا من المنايا، فنحن أن عشنا سعداء، وأن متنا شهداء فنحن المقربون بولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، خليفة رسول الله رب العالمين فنحن والله الشيعة المؤمنون ﴿ **أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ المجادلة / 22، تريدون منا طاعة لا سمعاً ولا طاعة، قلتم إن سلمتم لنا أمركم قبل أن يكشف الغطاء، ويحل عليكم منا الخطأ، فهذا الكلام في نظمه تركيك، وفي سلكه تشكيك، فقولوا لكاتبكم الذي رصف مقالته، وصنف رسالته، أن يحسن رسالته، والله ما كان كتابكم هذا عندنا إلا كصرير باب، أو كطنين ذباب، إنكم استخففتم النعم، واستوجبتم النقم، سنكتب ما قالوا ونمدهم من العذاب، هذا وإنما أردت بهذه التهديدات الكاذبة لإظهار بلاغتك واستظهار فصاحتك، ألا أنت كما قال القائل: ذكرت شيئاً وغابت عنك أشياء ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** ﴾ الشعراء/227، ولكم منا الخطاب وسيأتينا منكم الجواب ﴿**أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ النحل/ 1 ، وقد نظمنا جواهر الجواب بما أتى والسلام على من اتبع الهدى.

اشتد بينهم القتال والحرب والجدال بعد ذلك وأحسن أهل الجزائر والبطائح الكرام الجلاد والأقدام، وصدق بما نطق مادحهم وواصفهم الشاعر كامل بن عزيز في قصيدته على وزن المواليا:

بالله يا بيض بين الصنجقين أقفن ... لأقام سوق المراس وعاد من وفن

يا من على العيب وأفعال الدنيا بفن ... لا تنكرن الشهادة حزة يلفن

قب الحوافر دفاق الجري ما يخفن ... جرد السبايا بفرسان الوغى زفن

الى عندنا والمدافع بالخشب هدفن ... في بندق كالصواعق للعلل خسفن

حتى بقن الجماجم مثل نحت الفن ... والطاح تحت المواضي عنه ما عفن

واختبت الأرض وأنوار السماء كسفن ... من نقع قب الحوافر والذي تقفن

كوسات حرب تطابح والطلى قطفن ... في يوم جتنا خيول الروم يلتقن

صاحوا وصحنا عليهم غصب أو نحرفن ... عنا عذت خيلهم كالرمل ينكفن

والبيض أعقابنا الستور هزك فهن ... كل ينادي تقول سيوفكم يهفن

من عقب ذا اليوم ما من غلة يشفن ... يا قومنا بهنوي تحت الثرى ندفن

ولا السبا عند من لا بالوعد يوفن ... أجبتهن يا ثقاة بالنقا عرفن

سلمان برباطها والمشريات أقفن ... الثابت الجأش ولا رجل وغد خفن

وحيات عمران وردني وشيبه عجل	وحيات حملا بني مسلم كريم ورجل
إن كان يا أهل القصد وأيا ثقال الحجل	ما نكعم الضد عنكن والمصايب بخل
في كل شهم على الجودات لبق وعجل	وإلا على غيرنا بارد أنكن هفن
مدى المدى وإن ذكرتن وصلنا كفن	..... (15)

ج – توثيق حصار القرنة واحتلال البصرة :

حكم حسين باشا افراسياب ولاية البصرة بين عامي 1049-1078هـ فوصلت الولاية في عهده إلى مستويات متقدمة في الأمور العسكرية والمادية، وساورته نفسه بالخروج على نفوذ العثمانيين والاستقلال بالبصرة عن سلطة السلطان العثماني، فتظاهر بالعصيان وقارن دولة إلى عثمان، فأخذ يطور القلاع ويكثف الأسلحة ويزيد عدد الجنود حتى بلغ عددهم الأربعين ألفاً من الرجال، وفي مقابل ذلك أرسل السلطان العثماني والي بغداد إبراهيم باشا بثمانين ألف مقاتل، مع استعداد عظيم من جميع الذخائر والمدافع والمعدات ما لا يحصى، ومعه من الوزراء بعساكرهم ثمانية غير المصاحق والعربان من الموالين للعثمانيين والحلفاء إلى حد البصرة، فوصل الخبر إلى الوالي حسين افراسياب فشرع بتدارك ملاقاتهم والانتقال إلى القرنة، وراسل الأمير علي بن خلف حاكم الحويزة فأرسل له بعض المعونة من المعدات والرجال..، وأرسل لأهل الجزائر وقلاعها والبطائح وقلاعها بالمجيء إليه بأهاليهم ودوابهم وأغنامهم، وعند مجيئهم أسكنهم أماكن مستطرفة بعيداً عن مواقع القتال.. وتقدمت عساكر العثمانيين نحو القرنة والأطراف الأخرى، وكان حسين باشا في قلعة القرنة يتابع الموقف واستمر الحال بين المتحاربين بسبعة أشهر كر وفر، وشاءت الأقدار كان الشيخ نعمة الجزائري مقيماً في ذلك الوقت بالقرنة يمارس نشاطه التأليفي والتعليمي، ومعه عدد من المشايخ والأدباء منهم الأديب علي بن باليل الدورقي، وكانت علاقة الشيخ الجزائري بالوالي حسين افراسياب جيدة، وفي أثناء الحصار والرمي والقتال يزوره، وكلما كان الشيخ يطلب من الوالي مغادرة القلعة لم يأذن له اعتزازاً به.. وحسب الشيخ أعداد رميات المدافع العثمانية على قلعة القرنة فكانت أعدادها ألف رمية في اليوم، وفي أحد الأيام بلغت أربعين ألف رمية من طلوع الشمس حتى غروبها، ولم تؤثر في القلعة، واستمرت الحرب بمختلف صنوف الأسلحة والاستعراضات.. فلما كان ليلة الجمعة 11/رمضان/1078هـ، خاف والي البصرة حسين افراسياب من خيانة عسكره وفرَّ هارباً إلى مقاطعة الدورق المجاورة..، فبلغ الخبر أهل الجزائر والبطائح طلوع الفجر يوم الجمعة، ففرت النساء والرجال والأطفال والشيوخ والعميان وكل من كان في ذلك الإقليم، طالبين اللجوء إلى الحويزة عاصمة المشعشعين، وبينهم وبينها مسيرة ثلاثة أيام وكانت مفازة لا فيها ماء ولا كلاء بل أرض يابسة، فمات عدد من الفارين في تلك المفازة عطشاً وجوعاً وخوفاً ما لا يحصى عددهم إلاّ الله تعالى، وكذلك العسكر الذي كان في القرنة قُتل منهم أيضاً خلق كثير.

والحاصل إن من شاهد تلك الواقعة عرف أهوال يوم القيامة! وأمّا أمير الحويزة السيد علي بن خلف فأنه أرسل عساكر لاستقبال أهل الجزائر وأرسل لهم ماءً وطعاماً جزاه الله عنهم كل خير.

وله إشارات وأحاديث مختصرة في مواقف ومواقع في حوادث تاريخية وسياسية أخرى متناثرة في مؤلفاته [16].

4- أرخ لحياة الأنبياء والمرسلين والرسول الأعظم (6) وأهل بيته الأطهار (:) في كتابين منفصلين موضوعات تاريخية بحتة:

كتب كتابين في موضوعات تأريخية بحته هما: رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار ثلاثة مجلدات ومجلد واحد بعنوان النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، وهي مطبوعة في متناول أيدي القراء، اعتمد فيها أسلوب المؤرخ الكفوء في المنهج والعرض يضع مقدمة للكتاب وتمهيداً، ويقسم المادة التأريخية إلى أبواب وفصول وفقرات.. ففي كتاب النور المبين ترجم إلى (35) ونبياً ورسولاً، ومعهم اعداد من الأولياء والاتباع والأنصار، وأسماء عدد من المناطق والديار والبلدان، وذكر في مقدمة كتابه هذا من بين ما ذكر، أن سبب تأليف هذا الكتاب أنّه وجد من سبقوه في هذا الميدان كانت مؤلفاتهم ، أما مختصرة جداً لا تعطي الموضوع حقه من التوضيح والبيان، وأما مطولاً يتجاوز حدود المطلوب فيحدث مللاً ونفوراً في نفس القارئ، لذلك اختار هو الطريق الوسط، ولعله وفق في ذلك، يقول: إنه لما وفقنا الله سبحانه لتأليف كتابنا الموسوم بـ(رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار) سلام الله عليهم أناء الليل وأطراف النهار، واستقصينا فيه ما بلغنا من أحوال النبي وأحوال الأئمة من مواليدهم ومعجزاتهم ومناقبهم على التمام، فجاءت ثلاثة مجلدات حسان فيهن من أسرارهم ما لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، ثم أن جماعة من علماء الأخوان التمسوا منا أن نكتب كتاباً في تفصيل أحوال الأنبياء، وما جرى عليهم من سالف الزمان، ليكون متمماً لكتابنا المذكور، وتتلى أحاديثه في البكور والعصور، وسميناه (النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين) ورتبناه على مقدمة وأبواب وفصول وخاتمة [17].

فأحببت أن انسج كتابي هذا على منوال عجيب، وطراز غريب، بأن أكرر كما ورد من طرق الخاصة، وبعض ما احتاج إليه من روايات الجمهور إن وقع الاحتياج إليه على طريق الاختصار، فيكون كتاباً صغير الحجم غزير العلم، تهش إليه الألباب وتستلذه الطلاب[18].

5- تاريخ السيرة الذاتية :

عرف تراثنا العربي والإسلامي كتابه تاريخ السيرة الذاتية في عصوره المتقدمة وحتى عصرنا الحاضر، فترجم عدد كبير من المفكرين والعلماء والقادة العرب والمسلمين لأنفسهم أو ترجم لهم، ويختلف كتابه تاريخ السيرة باختلاف نزعات واختصاصات وميول أصحابها والدوافع التي دعتهم إلى كتابه تاريخ سيرهم، فترجمة القادة السياسيين والعسكريين غير ترجمة الفلاسفة والعلماء والأدباء والآخرين ، وهناك فرق بين من يكتب ويُترجم له وبين من يكتب ويترجم لنفسه، فمن يكتب عنه تكون الكتابة عن بُعد ومبنية على الرواية والأقوال والظنون وبعض المراجع الأخرى وقد تنقصها الدقة والصراحة فتدخل فيها المبالغة أو التسقيط والاختلاف والجدال... الخ .

أما من يكتب عن سيرته الذاتية فتكون كتابته أكثر دقة وصراحة وواقعية وصدقاً وأثراً نفسياً وعزماً على تحقيق الأماني والأهداف.

وعرف عن العلامة نعمة الجزائري[*] من الكتّاب والعلماء العرب بترجمته عن نفسه ولم يخصص لهذه الغاية كتاباً مفرداً وإنما جعلها فصلاً في آخر كتابه (الأنوار النعمانية)، وترجمته في واقعها تاريخ مسيرة طالب علم أفنى ردحاً من حياته في تحصيل المعرفة وأنواع العلوم، فواجهته في سبيل ذلك مصاعب جمّة قلما يحتملها إنسان، وابتعد عن الأهل وفارق الديار وعانى شظف العيش وضآلة الرزق ومشقة التنقل والسفر بين المدن والقرى لارتياد مراكز العلم ومحال الشيوخ والمعلمين.. وبعد أن وصل الأربعين من عمره واستقر في مدينة (تستر) من إقليم الأحواز، رأى أن يدون ويؤرخ هذه التجربة والمسيرة الغنية بالمواقف الصعبة والتصميم النادر والمثابرة من أجل بلوغ الهدف المنشود والصبر على المشاق، الذي يتسم به أصحاب المبادئ العظيمة والأفكار النبيلة التي

تبلغ أحياناً التضحية بالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود، أراد أن يقدم هذه التجربة الخلاقة للإنسانية جمعاء وأبناء قومه ومجتمعه خاصة، لغرض دفع طموحهم إلى الأمام وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وهذا ليس غريباً على أصحاب التجارب الفذة من أمثال (أدسن وغاليلو ونيوتن وغاندي...).

قال في مطلع كتابه تاريخ سيرته: اعلم أطال الله بقاك أن مولد الفقير هو سنة خمسين بعد الألف –هجرية- وسنة تأليف هذا الكتاب هي السنة التاسعة والثمانون بعد الألف، فانظر إلى ما أصاب صاحبه من المصائب والأهوال، ومجمل الأحوال هو أنه لما مضى من أيام الولادة خمس سنين، وكنت مشغوفاً باللهو واللعب الذي يتداوله الأطفال، فكنت جالساً يوماً مع صاحب لي ونحن في بعض لعب الصبيان، إذ أقبل المرحوم والدي فقال لي: يا بني أمضي معي إلى المعلم وتعلم الخط والكتابة حتى تبلغ درجة الأعلام... [19].

ثم يسترسل في الحديث عن عمر الطفولة والصبا الذي قضاه في الدراسة الأولية مدة (12) سنة، في قريته والقرى المجاورة يتنقل بينها حيث وجود المعلمين والمشايخ والكتاتيب ودور العبادة.. بعد ذلك ينتقل إلى مدينة الحويزة وبعدها البصرة، وهاتان المدينتان كانتا أهم مركزين من مراكز السياسة والعلم والثقافة والحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي ويمكث فيهما أربع سنوات ثم يتوجه بعد ذلك مع أخيه السيد نجم وهو أيضاً طالب علم إلى شيراز ليقيم فيها تسع سنوات بالمدرسة المنصورية التي معظم شيوخها أساتذتها من العرب البحرانيين والعراقيين والإحسائيين، وكانت شيراز في ذلك الوقت من أهم المراكز الحضارية في شرق الخليج.. ويشير إلى ما أصابه من مشاق ومصاعب وتعب في مدة إقامته في شيراز ما لا يعلمه إلا الله تعالى..، ومع كثافة عناصر الضغط والإكراه من تلك الصفحة من حياته نجده مصراً عليها، ليعود بعدها إلى الجزائر منطقته منتصراً يحمل شعار المشيخة والعلم ويعمل على نشر فضيلة العلم وتأسس المساجد والكتاتب والمدارس، وكان يحتفل به أينما حلَّ وقد بلغ مبلغ الإعلام، ودفعه طموحه إلى التوجه للعواصم الحضارية المجاورة فعاش في البصرة والحويزة وأصفهان، واتخذ من مدينة تستر دار هجرة وسكن هو أسرته، وأولاده وأحفاده أمثال نور الدين صاحب كتاب فروق اللغات وعبد الله صاحب كتاب الإجازة الكبيرة، ولا زالت أسرته وأحفاده منتشرين في العراق وإيران والبلاد الإسلامية الأخرى، وكانت إقامته في أصفهان مدة ثماني سنوات منها أربع سنوات الإقامة عن قرب مع العلامة الموسوعي صاحب (بحار الأنوار) السيد محمد باقر المجلسي، وأسست له مدرسة يتولى إدارتها والتدريس فيهما تضم العشرات من الشيوخ والتلاميذ، وأخيراً استقر في مدينة (تستر التابعة إلى دولة المشعشعين في الأحواز بناءً على طلب سكان ووجهاء المدينة وأحدث وجوده فيها نهضة علمية وحضارته وتولى مشيخة الإسلام فيها حتى وفاته عام (1112هـ- 1700م) رحمه الله، وكان في كل صفحة من صفحات حياته يفصل في أهم الأمور التي شهدها وواجهته، إضافة إلى نشاطاته السياحية والعلمية والاجتماعية... أما أسلوب الكاتب في هذه الترجمة فهو السهل المرسل الذي ليس فيه تصنيع أو ترصيع أو سجع، يتناول أمور حياته بشكل واقعي ويعرضها على سجيته دون كلفة، وتهويل، وإسراف خيال، فلا يسهب في وصف المواقف التي عاشها وهي قابلة للمط والاتساع، ولم يطلق لعاطفته العنان في توشية أفكاره بألفاظ عذبة رقيقة ولعل ثقافته العلمية وتخصصه في علوم الفقه والمنطق والنحو وغيرها من العلوم العقلية جعل نثره يفتقر إلى الفيض العاطفي[20].

6- تأصيل وتقويم بعض عناصر الثقافة الشعبية والتراث الشعبي والسلوك الاجتماعي تأريخياً (الفلكلور الشعبي والانثربولوجيا):

يعد التراث الشعبي علماً من العلوم الإنسانية، واتصافه بسمات واضحة متميزة، حتى انتشر الاهتمام به بنوعيه (الثقافي والمادي) لما له من تأثير في الحضارة والثقافة العامة، وحينئذ نستطيع أن

نرسم صورة هذه الحضارة وهذه الثقافة لأن من مرتكزاتها العناصر السلوكية الحركية والضمنية، فضلاً عن الدوافع الفطرية التي تواجه سلوك الإنسان بصورة تلقائية على الرغم من نسبتها الضئيلة من مجموع أعمال الإنسان الغريزية وخبرته وارتباطه بمن حوله [21].

إن دراسة ثقافة الشعب المنسية المتمثلة بالألعاب والرقص والأحلام وتفسيراتها، وآداب وشعائر المآتم، وآداب الضيافة، وتقاليد الزواج، والعادات المتعلقة بالحمل والولادة والأسماء والكنى، والخرافات الخاصة بالحظ والسحر، والاعتقاد بالقوى الغيبية، وفن الزخرفة، والبيت الشعبي، والمصوغات اليدوية، والغناء والموسيقى، والأزياء الشعبية والحكايات والأمثال، سيؤدي إلى بيان النمط الثقافي العام الذي تقوم عليه حضارة الشعب، ثم تأثير التراث الشعبي في هذه الحضارة واستخلاص البواعث الأساسية من سلوك الناس، والتأثير بوصفهم الاجتماعي والاقتصادي وتنوع المناخ والبيئة، والفروق بين التجمعات السكانية من حيث الأحداث التاريخية، أو الخصائص الذاتية وقرب وبُعد التجمعات السكانية من مراكز المدن. الاهتمام بالتراث الشعبي ليس مجرد نزوة عاطفية أو تقليد، وليس للتسلية والتندر، بل أنه يعني الاهتمام بعلم متكامل مبني على أسس ثابتة، وواقع اجتماعي ملموس متأت من الإيمان بأن الشعب هو صانع التأريخ، وعليه فمن الضروري في ظل ما سبق طرحه أن نعرف ونحلل مصطلح التراث الشعبي [22].إنَّ دراسة ثقافة المجتمعات قديمة، لا يمكن تحديد تأريخ لها، وأن أبرز مصطلحين علميين ظهرا في العالم لدراسة الحياة الشعبية والإشارة للعلم الذي يدرس هذه الحياة هما: (فولكسكنده) الألمانية : تصوير الحياة الروحية الشعبية بطبقاتها وجماعاتها المختلفة، أما الفلكلور فهو مصطلح انكليزي يتألف من مقطعين: أولهما (Folk) بمعنى عامة الناس، والثاني (Lore) بمعنى معرفة، فمعنى المصطلح: (معرفة الناس)، وهناك من يرى أن هذا المصطلح الإنكليزي هو ترجمة للمصطلح الألماني (Voljshunde) التي تعني أساطير شعبية وموجود في القانون الألماني منذ عام 1806م بينما يعود أصل كلمة (Folklore) الانكليزية إلى عام 1846م [23].ومع تنامي الإحساس بالروح القومية منذ عصر الرومانسية بدأ المفكرون يهتمون بتسجيل وتقويم المظاهر الفنية كافة، والصناعات الشعبية اليدوية، والمعتقدات الشعبية، تلك التي تنمو ويتداولها الناس، ويتوارثونها في وسط شعبي خاص. أما علم الفلكلور فهو العلم الذي يدرس التراث الروحي للشعب، وطرح علماء الفلكلور آراء عديدة حول تعريفهم له تراوحت بين موسع لمادته ومختصر، ونخلص من هذا العرض إلى أن الفلكلور يمثل التراث الشعبي لكل فروعه ولا يعنى بفئة دون أخرى عبر مراحل تاريخية متتابعة، أما عن علاقة الفلكلور بـ(الانثروبولوجيا) الثقافية فتلك علاقة وثقى وليس من المعقول أن يقتصر الفلكلور على الأدب الشعبي الذي يمثل فرعاً واحداً منه [24].

ومن بين ما تهدف إليه الدراسات الفلكلورية الحفاظ على هذا التراث من الاندثار والتشويه والانقراض وتجنب ما يحصل من خلط بين ثقافة الشعوب الحاضرة (الفلكلور) وبين ثقافة الشعوب البداية (الاثنولوجيا) وبين (علم الإنسان) (الأنثروبولوجيا) وحتى علمي التاريخ والآثار [25].

في مقدمة واجبات الأدباء والمثقفين قيادة المجتمع نحو شاطئ الأمان، ونشر الفضيلة ومكافحة الرذيلة، وتقويم السلوك الاجتماعي، لأنهم يدركون أكثر من غيرهم قيمة المجتمع المتحضر، والإنسان المتزن في البناء والتقدم الحضاري، فالأديب والمؤرخ والمثقف عين واعية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولكن ليس بالسيف أو العصا الغليظة، وإنما بالكلمة الواعية وأساليب التربية المدروسة، لمكافحة الفوضى والصراع بين الناس؛ وهكذا نجد دوراً واضحاً وجهداً متميزاً لعلماء المنطقة لمعالجة بعض أزمات المجتمع ورفع سلوكه وأخلاقه الفاضلة إلى السمو عن طريق الطرائف والحكايات والألغاز والأحاجي واللطائف ذات المضمون التأريخي الاجتماعي أو ما يعرف في ثقافتنا المعاصرة علم اجتماع ثقافة المجتمع[26]، وكأنهم اقتدوا بكبار العلماء في العصور المتقدمة أمثال ابن المقفع في

كتابه (كليلة ودمنة) والزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) وبهاء الملة والدين العاملي في كتابه (الكشكول). وثمة أغراض نفسية وتعليمية أخرى في كتابه تلك الكتب منها رفع الضجر والملل، وشحذ الأذهان عند طلبة العلوم والبحوث، وتخفيف حالات الكبت والضغط النفسي والحرمان، التي يعاني منها الآلاف من الناس، نتيجة لثقل متاعب الحياة، ومهابط الدهر وآثار الكوارث التي كثيراً ما تقود إلى اليأس والضياع وتجعل الحياة مرة مقيته، فيعمد كبار العلماء إلى أساليب تقوى من عزيمة الإنسان، وتشد من صبره وعزمه، وتجعله إنساناً متفائلاً صبوراً جاداً طموحاً مثابراً متزناً، بواسطة تلك الطروحات والأخبار النادرة التي تحمل صوراً من مفارقات هذه الحياة الدنيا، تجري على أيدي الإنسان نفسه، أو تحركها غرائز الحيوان أو تدفع بها مظاهر الطبيعة، وما على الإنسان المعاصر المتلقي لتلك الأفكار من الحكايات والطرائف واللطائف إلا الاتعاظ والانصراف إلى نشاطه اليومي بهمة وعزيمة، ومن أشهر من كتبوا في هذا الباب الواسع العلامة نعمة الجزائري، ألف كتابين كبيرين في الحكم والحكايات والطرائف والفلكلور الشعبي هما (الأنوار النعمانية وزهر الربيع) قال في مقدمة كتابه زهر الربيع : وبعد فيقول المذنب الجاني قليل البضاعة وكثير الاضاعة نعمه الله الموسوي الحسيني الجزائري وفقه الله تعالى لمرضاته وجعل مستقبل أحواله خيراً من ماضيه.

لما فرغت من آخر مؤلفاتي كتاب مقامات النجاه وكتاب مسكن الشَّجون في حكم الفرار من الطاعون نظرت قول الصادق المصدّق(9): ((الارواح تكلّ كما تكل الأبدان فابتغوا لها ظرائف الحكمة)) ، وما روى عن مولانا سيّد الموحدين أمير المؤمنين: ((إن للقلوب إقبالاً وأدباراً فأذا أقبلت فأقبلوا على النوافل وإذا أدبرت فدعوها)). وما روى عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس أنه كان إذا فرغ من التدريس ورواية الحديث يقول لتلاميذه حمضونا حمضونا فيخوضون عند ذلك في الاخبار والاشعار والظرائف والحكم ، فاردت أن أضع كتاباً مختصراً يروّح الخاطر عند الملال ، ويشحذ الاذهان عند عروض الكلال، متضمناً للظرائف الرقيقة ، والطرائف الانيقة ، والاشعار الفائقة ، والحكم الرائقه والاخبار الغريبة والاثار العجيبة ، وسميناه زهر الربيع لما فيه من المقال البديع ، ورتبناه على فصول وابواب وحررنا فيه كثيراً من فنون الأداب[27]. اعتمد في تدوين مواده وموضوعاته وطرائفه وحكاياته وأخباره الأدبية والتأريخية ونوادره على ما شاهده وما سمعه من معاصريه، وما قرأه من كتب التراث بألوانها المتعددة واغراضها المشابهة لأغراض كتابه التي ذكرها في مقدمته، وهي في معظمها لأمور التسلية والعبرة والتربية ومعالجة الظواهر السلبية في المجتمع، واتخاذ الدروس من سلوك الآخرين واخبار الماضين، وغرائز الحيوانات وما رتب حولها من حكايات وقصص صاغ معظمها بأسلوبه وانشائه، لذلك جاءت لغتها سهلة يسيره على المتلقي وفهمها سريع وتختلط الحقائق بالاساطير والجد بالهزل نذكر منها هذه النوادر الأدبية وتعليقه اللطيف عليها.

الكتابة عن الطبيعة والحيوان والإنسان:

شغف بعجائب الطبيعة بما فيها من ارض وفضاء ورياح واجرام وكواكب وشمس وقمر، فوصفها وصفاً أدبياً يعتمد على القرآن الكريم واقوال الرسول 6 والأئمة والصحابة ثم الحكماء والفلاسفة، وتناول غرائز الانسان والحيوان بأسلوب لطيف. فذكر نزعات كل منها وميوله في الخير والشر وحب البقاء والتكاثر وغيرها.

والهدف من ذلك :

أ – العبر والدروس من الموضوعات التي تعرض عن الطبيعة والحيوان والإنسان:

يتكئ الباحثون في الظواهر السلوكية الإنسانية على كتب التراث الديني والاجتماعي، في معالجتهم لتلك الظواهر، ويتخذون منها مشرعة ومنهاجاً في الوصول إلى ما يصلح شأن الإنسان وتعليمه في معظم أبعاد حياته، والكاتب نعمة الله الجزائري واحد من هؤلاء الكتّاب، يحمل ثقافة دينية

عميقة في القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والأدب، وقد وردت أمثلة كثيرة للسلوك الحيواني الغريزي في الحشرات والحيوانات الأخرى والنباتات... الخ، الغاية هو تقويم السلوك الإنساني والسير نحو الأفضل، وعلى هذا المنهج مشى العلامة نعمة الله الجزائري في معالجة مشاكل مجتمعه التي سوف نذكر منها بعض الأمثلة وقد قيل أن الأمثلة تضرب ولا تقاس .

قال علماء الادب أن أهْجى بيت قالته العرب قول الاخطل:

ماكنـــتُ أحســـبُ أنَّ الـــدُّخن فاكهـــةٌ حتـــى مـــررتُ بـــوادي آل عمّـــارِ

قـــومُ إذا اســـتنبح الأضـــيافُ كلـــبهمُ قـــالوا لأمهـــمُ بـــولي علـــى النـــارِ

فتمنـــع البـــول بخـــلا ان تجودبـــه فمـــا تبـــول لهـــم إلاّ بمقـــدار

قلت: اشتمل هذا البيت على معائب.

الاول: إنهم لايعطون للضيف شيئاً حتى يرضى بنباح كلابهم فيستنبح منها.

الثاني: إنّ لهم ناراً قليلة تنطفئ ببول امرأة.

الثالث: أنّ أمّهم التي تخدمهم لا خادم لهم غيرها.

الرابع: إنّهم كسالى عن مباشرة امورهم حتى تقوم بها.

الخامس: إنّهم عاقون لوالدتهم بحيث إنّهم يمتهنونها في الخدمة.

السادس: عدم ادبهم لأنهم يخاطبون أُمَّهم بهذه المخاطبة التي يستحي الكرام من الالتفات اليها.

السابع: إنَّهم يتركون أمّهم عند مواقدهم لأنّهم قالوا لها بولي ولم يقولوا لها: قومي الى النار.

الثامن: إنّهم جبناء لا يرقدون لأنّهم يستيقظون بسماع الحسّ الخفيّ من البعد.

التاسع : إنّهم لا يتألمون ممّا يصعد من رائحة البول اذا وقع على النار.

العاشر: الزامهم والدتهم ان لاتبول وتدّخر ذلك لوقت الحاجة إليه والاّ فما كلّ وقت يطلب الانسان الاراقة يجدها فتجد لذلك ألماً من مشقة احتباس البول.

الحادي عشر: افراطهم في البخل الى غاية يشفقون معها على الماء ان يطفئ به النار.

الثاني عشر: إنّها تؤكد عداوة المجوس للعرب لأنّ الفرس يعبدونها وهؤلاء يبولون عليها[28].

ومن طرائفه هذه الاساطير واللطائف والحكم:

ذكاء العرب:

ومن ذلك ماهو مذكور في الافراط من ذكاء العرب ، قيل توجّه ربيعة ومضر واياد وانمار اولاد نزار بن معد الى ارض نجران فبينما هم، يسيرون إذ رآى مضر حشيشاً قد رُعي فقال البعير الذي رعى هذا اعور فقال ربيعة وهو ازور فقال اياد وهو ابتر فقال انمار وهو شرود فلم يسيروا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر اهو اعور ؟ قال نعم وقال ربيعة اهوازور؟ قال نعم قال اياد اهو ابتر ؟ قال نعم قال انمار اهو شرود ، قال نعم هذه والله صفات بعيري دلّوني عليه فحلفوا له انهم مارأوه !! فلزمهم وقال كيف اصدقكم وانتم تصفونه بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي[29]، فقال صاحب البعير هؤلاء وصفوا لي بعيراً بصفته ثم انكروه فقال الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر يرعى جانباً ويدع جانباً فعلمت أنّه اعور وقال ربيعة احدى يديه ثابته الاثر والاخرى فاسده، فعلمت انّه افسدها بشدّة وطئه لازوراره وقال انمار انّما عرفُت انّه شرود ، لكون انّه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثمّ يجوز الى مكان ارقَّ منه واخبث ، وقال

اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيّالاً لتفرّق فقال الافعى ليسوا باصحاب بعيرك ثم سألهم من هم فعرفهم وبالغ في اكرامهم [30].

القسمة العادلة:

وفي الامثال : انّه اصحب ذئب وثعلب اسداً ، فاصطادوا عيراً وظبياً وارنباَ، فقال الاسد للذّئب : اقسم هذا بيننا ، فقال: العير لك ، والظّبي لي ، والارنب للثّعلب، فغضب الاسد، وأخذ بحلق الذّئب حتى قطع راسه ، فقال للثعلب: اقسم انت فقال : العير لغدائك ، والظّبيُ لعشائك ، والارنب تتفكّه به في اللّيل فقال: من علّمك هذه القسمة العادلة ؟ فقال : رأس الذّئب الذي بين يديك[31].

وعن سلوك الحيوان وغرائبه هذه الحكايات التي لاتخلو من بعض الحكم والتوجيهات في السلوك الانساني:

ذكاء الكلب:

ومن ذكاء الكلب ماذكره ابن الجوزي وهوأنّ بعض الأكابر مرّ بمقبرة، إذ قرأ مكتوب عليه هذا قبر الكلب فسأل شيخاً من أهل القرية فقال كان ههنا ملك عظيم الشأن وكان له كلب قد ربّاه لايفارقه فخرج يوماً الى بعض متنزهاته ، وقال للطّباخ أصلح لنا ثرده بلبن فجاؤوا باللّبن الى الطّباخ ونسي أن يغطّيه فخرج من بعض السقوف أفعى فكرع من ذلك اللّبن ومجّ في الثّردة من سمّه والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها الى الافعى، فلمّا أتى الملك من الصّيد قال للغلمان أدركوني بالثّردة فلمّا وضعت بين يديه لجّ الكلب في الصياح فلم يعلم مراده فرمى اليه من تلك الثّردة فلم يلتفت اليه وعينه الى الملك فلمّا رأه يريد أن يضع اللقمة في فمه طفر الى وسط المائدة وادخل فمه وكرع من اللّبن فسقط ميتاً وتناثر لحمه فبقي الملك متعجباً من الكلب ، فقال الملك هذا الكلب قد فدانا بنفسه وقد وجب أن نكافيه ومايحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه هذه القبّة[32].

عشق الحيوان:

وحكى جماعة من الثقاة منهم شيخنا البهائي(ره) عن الشيخ ابي علي أنّه صنّف رسالة في العشق ، وذكر أنّه لايختصّ بالانسان بل هو موجود في الحيوان والمعادن والنّباتات.

اقول: امّا العشق في الحيوان فممّا لاينبغي ان يشك فيه وقد اكثرنا من دلائله وحكاياته في كتاب المقامات وأمّا العشق في المعادن والنباتات فنقلنا له شواهد من كتب الفلاحة وغيرها ونقلنا من كتب العشاق أنّه نبت على قبر عروة وعفراء شجرتان فطالتا حتى كانتا على قامة فالتقتا وتعانقتا حتى قال الناس انّ المحبّة سرت منهما الى الشجرتين النّابتتين على قبريهما وكذلك على قبر توبة وعشيقته ليلى الاخيليّة وذلك كما نقله شراح المغنى انّ توبة قال:

وَلَـــو اَنَّ لَيلَـــى إلا خَيَلّيـــةٌ سَـــلّمَتَ عَلَـــى ودونـــي جَنـــدَلٌ وَصَفائـــحُ

لَسِـــلّمتُ تَســـليَم البَشاشَـــةِ اَورَقَـــى اَليهـــا صـــدىً مِـــن جانِـــب القبـــرِ صـــائِحُ

فلمّا مات ودفنوه في فلاةمن الارض بلغ اهل ليلى في الترحال الى قبره بعض الوشاة ياليلى هذا قبر توبة فتعالي سلّمي عليه فاتت في هودجها حتى وقفت على قبره فقالت السّلام عليك ياتوبة الست القائل ولو إنّ ليلى الاخيليّة سلّمت البيتين فهذا السّلام فأين الجواب ومن العجائب انّه كانت بومة لها عش في خسفة في القبر فصاحت وفرّت طائرة فنفر البعير والقى الهودج فماتت من ساعتها ودفنت الى جانب قبره ببعد سبعة اذرع فنبت على قبرها شجرة وعلى قبره شجرة فطالتا فالتقتا[33].

أحوال الهرّة:

وحيث انّجر البحث الى هذا المقام فلنفصّل لك بعض احوال الهرّة لكونها مانوسة في البيوت بل جاء في الحديث إنّها من اهل البيت لتقيس عليها غيرها من الحيوانات والطيور والحشار ونحوها وذلك إنّها اذا بلغت مبلغ النكاح ويكون في سنة كاملة تعرضت للذكور من الهرّ واطمعتهم في رغبتهم اليها فاجتمعوا اليها وبقيت تعلّلهم وتمنيهم وهم يركضون وراءها الايام واللّيالي كالمرأة التي يجتمع الرّجال لخطبتها ثم إنّ الهرّة تختار لنكاحها اقوى الفحول واشدّهم غيرة واشجعهم بأساً وذلك لوجهين احدهما تحرّزاً من شرّه حتى لا يأكل اولادها ، وثانيهما ان يكون معيناً لها في حراسة اولادها من القطط أي الذّكور فتنفرد بالتّزويج به ويكون هو اباً لاولادها فتحمل منه وفي الكتب إنّ ماء القطّ احرّ من النّار ولهذا ترى الهرة في ذلك الوقت في غاية الاضطراب فتبقى في حراسة ذلك الحمل من ارتكاب نوع من البعد ، عن الآدميين خوفاً من ضربة على بطنها وهي في تلك المدّة تطلب الموضع الحصين للولادة فإذا جاء الوقت التجأت اليه والى الانس بالآدميين كيلا يتجرأُ عليها الفحول في اكل افراخها فإذا وضعت اشتدّت بها الحراسة للخوف عليهم فشرعت تنقلهم من مكان الى مكان ما داموا لم يفتحوا اعينهم فإذا فتحوا وامنوا من الشّرور شرعت في تعليمهم انواع العلوم وتربيتهم الطف التّربية فأول ما تعلّمهم الحذر من النّاس اذا لم تكن من اهل البيت بل كانت ضيفاً على اهله فمن رأته انهزمت من بين يديه مع أنها ما كانت تعتاد الهزيمة وإنّما ذلك تعليماً لفراخها خوفاً عليهم من أخذ الصبيان ، فيتقنون علم الحذر والفرار من النّاس.

وفي المثل احذر من الغراب لأنّه قال لولده إذا رأيت من أخذ بيده حجراً فَطِر من بين يديه فقال يا أبتا أطير عنه قبل أن ينحني لأخذ الحجر ثمّ تعلّم أولادها علم السّؤال والطّلب ، وهو علم عريض طويل[34]. حدثني شيخنا صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين في شيراز في منزله الواقع بجوار المسجد الجامع، وأن علم السؤال والطلب يشتمل على اثني عشر مقاماً يشمل كل منها على اثني عشر شعبة ثم فصل المقامات والشعب تفصيلاً غريباً موافقاً للواقع والوجدان، ولو أن اهل السؤال اطلعوا على بعض المقامات وعرفوا شيئاً من تلك الشعب لاستغنوا في زمن قليل.

والحاصل انها تأتي بأفراخها وتبسط يديها على الارض مثل الاسد، لأنها خلقت من عطسته في السفينة لما كثر الفأر وافسد حبال السفينة، يكون جلوسها بناحية عن الاكلين لذلك الطعام، فترقق قلوبهم على اعطائها اولاً بالسكوت، وذلك ان السكوت تارة يرقق قلوب الناس وأخرى يحملهم على قضاء الحاجة تنفرا واستكراهاً من جلوسه، وهذا السكوت من اعظم الاسباب لقضاء الحوائج... فإذا قضت الهرة حاجتها بالجلوس المشتمل على الادب والسكوت فذاك المطلوب، وأن رأت التغافل عنها تدرجت على اخبارهم والطلب بالصياح ميو ميو قليلاً، ثم تسكت ثم تصوت، فأن استمرت على التغافل عنها تدرجت على العارفين بأدب السؤال من المكادى، وان استمر منهم الاعراض عنها قدمت على السرقة واحالت الحيل فيه تقع على مطلوبها، فإذا سرقت شيئاً امعنت في الهرب لانها عارفة بانه حرام وتعاقب عليه. كان في بلادنا رجل من الافاضل فسأله رجل يوماً عن الحلال والحرام وطال الكلام حتى قال للسائل: أن الهرة تفرق بين الحلال والحرام وانتم لا تميزون بينهما، فقال له السائل: وكيف هو؟ فقال: انها اذا اعطيت قطعة من الخبز اكلتها في مكانها، واذا اخذتها سرقة هربت بها كما يهرب السارق. اقول: ثم اذا لم تمكنها الفرصة شرعت في الاختلاس والغارة فتغافل الاكل حتى تثب على الطعام، وربما وثبت فأخذت اللقمة من يد الاكل، وهذا كله تعليم لأولادها كيفية طلب المعاش وتحصيلاً لقوتها...))[35]. نلمس مما تقدم أن أدب الحكاية والقصة والنادرة والاسطورة والطريفة نالت اهتمام كتاب المنطقة فألفوا فيها الكتب وكانت موضوعاتها تطرح في سهراتهم ومجالسهم الادبية ومناسباتهم الاجتماعية يفيدون منها في النواحي التربوية وتقويم السلوك الانساني ومواجهة تحديات الحياة

والصبر على المحن والكوارث التي طبعت معظم جوانب عيشهم وفي هذه الاساليب الادبية والتربوية يمكن تخفيف اثر تلك الصدمات عن نفس ابن العراق فيواصل مسيره البقاء في وطنه وأرضه بأحلام المستقبل المشرق ولسان حاله يقول:

اعلل النفس بالآمال أرقبها

ما أضيق الدهر لولا فسحة الامل

ب- السلوك الرفيع الأخلاق الفاضلة :

رصد الكاتب الظواهر السيئة في المجتمع، فخصص قسماً من ثقافة ومؤلفاته في تربية الانسان وتقويم اخلاقه، فعالج عدداً من الموضوعات كالحسد والنميمة والتبختر والفخر والظلم والكذب وغيرها، وحرص على نشر الفضيلة والسلوك السليم، كالعدل والصبر والصدق وغيرها من الفضائل فسطر اراءه على نحو مقالات مثيرة للمشاعر الانسانية فمن ذلك ما كتبه في الحسد: ((اعلم ان الحسد من اعضل الادواء واكبر المعاصي وافسدها للقلب، وكفى به شر أنه اول خطيئة عصي الله تعالى بها، وذلك هو حسد ابليس لأبينا آدم عليه السلام فاستمرت تلك البلية إلى يوم القيامة، وقد أمر الله نبيه بالاستعاذة منه فقال: **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾** ، بعد أن استعاذ من الشيطان والساحر فانزله منزلتها، وقال 6: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب).... فأن ميزان الحاسد ابدا خفيف يثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد، والحسد يهيج خمسة اشياء احدهما: افساد الطاعات، لما عرف من أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والثاني: فعل المعاصي والشرور، والثالث : التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر، والرابع: الحرمان والخذلان فلا يكد يظفر بمراد ولا ينصر على عدو وكيف يظفر بمراده، ومراده زوال نعم الله عن عباده، وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله الذين ساق اليهم النعم لتأهلهم لها، فأعلم قد بقي هنا امور. الأول: حقيقة الحسد: هو انبعاث القوة الشهوية إلى تمني ما للغير أو حاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهو مستلزم الحركة القوة الغضبية ولذلك قيل: (الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له)، وقد اتفق العقلاء على أن الحسد مع أنه رذيلة عظيمة للنفس فهو من الاسباب العظيمة لخراب العالم إذا كان الحاسد كثيراً ما يكون حركاته وسيعة في اهلاك ارباب الفضائل واهل الشرف والاموال الذين تقوم بجهودهم عمارة الارض، إذ لا يتعلق الحسد بغيرهم من أهل الحسنة والفقر. واما الغبطة المحمودة فهي انك لا تتمنى زوال تلك النعمة عنه ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وكما قيل (وإنما نغبطكم يا اهل العراق على الارز)...[36].

وقيل في الصبر [37]:

(اعلم وفقك الله تعالى أن القرآن والحديث قد اكثر من مدحه، وحتى انه سبحانه وصف الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً، واضاف اكثر الخيرات والدرجات إلى صبر وجعلها ثمرة له فقال ﷻ : **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** . واعلم أن محامد الاخلاق كلها ترجع إلى صبر، ولكن له اسم بكل واحد من موارده، فأن كان صبراً عن شهوة البطن والفرح سمي عفة، وأن كان على احتمال مكروه اختلف اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر، فأن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاده الجزع، وأن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده البطر، وأن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وان كان كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده السفه، وان كان في نائبة في نوائب الزمان سمي سعة الصدر وبضده الضجر والتبرم وضيق الصدر، وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر، وأن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وان كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة يضاده الشره...)). ومن الطرائف التي وردت في هذا الكتاب: ((اخبرني من اثق به ان رجلاً من اهل جيلان امسى عليه الليل وضاف عند رجل منهم، فلما جلس

عنده قليلاً قال له صاحب الدار: أن كان عندك شيء من المال فحله من حزامك واودعه زوجتي إلى غد لعلك تخرج ليلاً لقضاء الحاجة، ونخاف عليك من ملاقاة اللصوص، فحل هميانه وكان فيه اربعمائة محمدية، فلما وضعه عند المرأة خرج لقضاء الحاجة فلما اقبل سمع الرجل يقول لإمرأته: انا نريد نزوج ولدنا فلانا، وكان المانع الخرج، فهلمي ان نقتل هذا الرجل وناخذ هذه الدراهم لزواج الولد، فاتفقا على ذلك، فعمدا إلى بيت ينام فيه الضيف، وفرشا له فرشاً ووسادة، فلما مضى من الليل مقدار خرج الرجل من ذلك البيت وصعد إلى السطح حذراً من القتل وللنظر إلى ما يصنعون، ثم أن ولده كان عند رجل من الجيران فأتى أهله، فلما وصل إلى بيت الضيافة رأى فرشاً وسراجاً وكان قد اخذه النوم فنام على ذلك الفراش فلما انتصف الليل أتى الرجل زوجته، فارسلا رجلاً من خارج البيت واطفا السراج ودخلا وفي يد كل واحد منهم منجل عريض فتواراه على رأسه حتى مات، فقطعاه في الليل ورموه في بئر لهم وهم يعلمون انه الضيف، فلما طلع الفجر، عمد إلى رئيس تلك المحلة وقال له: امض معي مع جماعة حتى اوقفك على أمر غريب، فأتوا معه إلى باب ذلك الرجل، فطرق الباب وخرج الرجل ورأى الضيف فتعجب، فقال له الضيف: اعطني دراهمي، فدخل على زوجته وقال: أن الذي قتلناه ليلاً جاء هذا الوقت، ولا أظنه إلا من الجن، فاخرجي له دراهمه، فلما قبضها حكى الحكاية كلها لرئيس المحلة فعمدوا إلى البئر واخرجوا قطع المقتول، وإذا هو ولدهم الذي عزما على زواجه من تلك الدراهم، ومن حفر بئراً لاخيه اوقعه الله فيه...))[38]. ومن طرائفه: ((اجتمع محدث ونصراني في سفينه فصب النصراني من زق كان معه وشرب، ثم ناولها المحدث فتناولها من غير فكر ومبالاة، فقال: النصراني انما هي خمر، قال: من اين علمت ذلك؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي، فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني، ما رأيت احمق منك: نحن اصحاب الحديث نتكلم في مثل سفيان وعيينه ويزيد بن هارون، أفنصدق نصرانياً عن غلامه عن يهودي؟ والله ما شربتها إلا لضعف الاسناد...))[39].

7- توثيق المسيرة التربوية والتعليمية والثقافية وأهم متطلباتها، في عصره ووطنه:

أشار إلى مراكز ومواقع تلك المؤسسات على بساطتها، مثل بنايات المدارس والكتاتيب، ومراحل الدراسة، وأنواع العلوم وموادها، وسير الأساتذة والمعلمين والشيوخ والعلماء في نشر العلم بمختلف مراحله، والرحلة في طلب العلم، ومكانه حملة العلم والثقافة في المجتمع والدولة، مع قساوة الحياة في تلك الحقب واشتداد الأزمات والآفات كالحروب والأمراض وغضب الطبيعة، ولكنهم كانوا يواجهونها بصبر وثبات اقتداء بسيرة السلف الصالح التي وضع أسسها البارئ (ﷻ) بقوله : ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة البقرة: 250) والرسول الأعظم (6) مؤسس الثورة العلمية والتربوية في المجتمع الإنساني بقوله (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) فجاءت هذه الأفكار التربوية والعلمية متناثرة في موسوعات العلامة نعمة الله الجزائري، وكان هو المثال والقدوة والأسوة الحسنة في مجتمعه، إضافة إلى علماء آخرين سبقوه أو عاصروه أو علموه، وتتلمذوا معه، فقدم هذه التجارب للأجيال المعاصرة له أو اللاحقة لعصره بكل تواضع.

إشارة إلى أن الالتحاق بالمدرسة أو المكتبة له بداية وليس له نهاية، فيسجل الصبي أو الطفل في نهاية السنة الخامسة من عمره في المكتب، ويعلم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض النصوص الدينية والتربوية شفوياً، ثم يمكث الطفل في المرحلة الابتدائية ست سنوات، يتدرج فيها بتعلم المعلومات الأساسية المناسبة لعمره في اللغة والرياضيات وعلوم الدين وبعض المتطلبات النظامية في المسيرة التعليمية، وتعتمد مواظبة الطالب في التعليم على توفر المعلمين أو الشيوخ، إذ إنه يتنقل من مكتب إلى مكتب في القرى والمدن المتناثرة حيث توفر المعلمين وحسب الاختصاص أو المادة التي يقوم بتعليمها المعلم والشيخ، فذكر منها: قرية الصباغة، وشط المدك، وشط عنتر، وشط السحاب، وشط بني أسد،

وقرية كارون، ونهر بني صالح، والمدن الكبرى مثل القرنة والمدينة والشرش والجبابش والعرجة والزكية والخميسية، وعواصم الأقاليم مثل البصرة والحويزة وشيراز وأصفهان[40].

وأشار إلى أن سكان جنوب العراق بما فيها البصرة والحويزة والبطائح والأحواز، تؤلف بينهم سيادة اللغة الواحدة، وتناسق الثقافة التأريخية والدينية، فكانت اللغة لعربية ينطق بها الجميع، والتقاليد العربية الإسلامية الأصيلة هي الراسخة بينهم مع توفر الكثير من وحدة المناظر والآثار الحضارية والثقافية المتجانسة في الأماني والطموحات والآلام [41]. وفي حقب العصر الوسيط الذي عاش فيه الكاتب، على الرغم من واقع المنطقة المتسم بالخشونة والصراع الدامي وموجة التحديات الطبيعية والإنسانية، نجد اهتماماً بالغاً بالثقافة والعلم والأدب يوازي اهتمام المجتمع بمتطلبات العيش والسكن والاستقرار والأمور الضرورية الأخرى، ونلمس أدلة بينه على الجهد الثقافي والأدبي المنسجم مع واقع الأقليم الجغرافي والاجتماعي، أشار له الكاتب في ثنايا تصانيفه، وأشار له أيضاً عدد من الرحالة، والمؤرخين والأدباء إلى مستوى الجهد في المراكز الحضارية والقصبات والقرى التي بنيت على الجزر الكبيرة المرتفعة عن مستوى الماء المحيط بها، إلى جانب ما أسس وبني من المدن الكبيرة، وذكروا عدداً من المواقع والمساجد والمدارس والكتاتب، ورجال الدين الذين يتولون القضاء والتوعية الدينية والثقافية، وحل مشاكل الناس وفق الشرع الإسلامي، وكذلك المعلمين (الملالي) وأشار إلى مستوى الشعور بأهمية المهمة التربوية، والعناية بالمكتبة وصيانة الكتب وأدوات الكتابة [42]. فتجد بجوار الكوخ السكني أو الصريفة زورقاً محملاً بالكتب الخطية وأدوات الكتابة مع الأغطية والدثائر، لحمايتها من التلف إلى جوار زورق آخر محمل بالاثاث الثمينة، والرحلة في طلب العلم وتحمل شظف العيش، والغربة عن الأهل والديار أمراً مألوفاً، وكثيراً ما يقترن اسم قرية باسم شيخ أو معلم يعلم فيها أحد الاختصاصات العلمية أو المرحلة الدراسية ويسمى المكتب أو المدرسة باسم مؤسسة أو راعية[43]، وأشار إلى حكومات الولايات والإمارات التي عاصرها وعنت بالناحية العلمية والتربوية والأدبية، مثل إمارة الحويزة في إقليم الأحواز، وإمارة آل أفراسياب في ولاية البصرة، وإمارة المنتفق في شمال الخليج والبادية الجنوبية، وإمارة آل عليان الطائية في جنوب الفرات والبطائح، وذكر أن إمارة آل علي افراسياب التي تأسست وحكمت بين عامي (1005-1078هـ) في ولاية البصرة وجنوب العراق ازدهرت فيها الثقافة العربية والمدارس والمكتبات، وكانت أيام علي أفراسياب وابنه حسين باشا شبيهة بأيام هارون الرشيد، في الرفاهية وطلب العلم والأدب، وشجع نشر العلم والأدب والعلماء والمفكرين على التأليف ومنهم العلامة نعمة الجزائري في العقد الثالث من عمره، وكانت له منزلة خاصة عند الوالي حسين باشا الذي كان يمتلك مكتبة ضخمة لرواد الثقافة، وجد المعلمون والمشايخ عنده ملجأً وملاذاً وعناية فائقة، وقيل عن حسين باشا كان أباً للعلم، فلما مات يتم...! [44]. وكانت إمارة الحويزة في مقدمة الكيانات العربية التي عنت بالعلم والأدب والمدارس والمساجد والمكتبات والعلماء والمعلمين والمشايخ.. وقال عنها الكاتب (رأينا الغالب على أهلها العبادة والزهادة ومطالعة العلوم وكتابة الكتب وأهلها في غاية الذكاء)[45]، فكانت إحدى المراكز الثقافية التي عنت بالتعليم بمختلف مراحله، وكان علي بن خلف المشعشعي سلطان الحويزة لم يجف مداد قلمه عن مخاطبة ومراسلة علماء وأدباء زمانه، يستحثهم على زيارته وحضور مجالسه الأدبية والعلمية والإقامة في دولته، وفي الخصوص يقول العلامة المعاصر له نعمة الله الجزائري: (قد حاز الحظ الأوفر من العبادة والزهادة والتبحر في فنون العلوم ونظم الأشعار والقصائد الرائعة، وقد أكثر من التصانيف العالية في أنواع العلوم، ومن العلم والعفو عن من أساء إليه بمكان لا يدانى، وقد اتصلنا بلازمة مجلسه العالي أوقاتاً كثيرة، وما كان عيب مجلسه إلاّ ذكر الفنون والآداب فيه، وكما قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

كان عالماً شاعراً أديباً صالحاً عفيفاً عابداً، وكان حاكماً على بلاد العرب كالحويزة ومن والاها، وكنا نحن في (تستر) فكان في كل سنة يرسل إلينا المكاتيب والرسائل ويرغبنا ويحثنا على الوصول إلى حضرته، وقد أبطأنا عليه بعض المرات فكتب إلينا مكتوباً وهذه الأبيات من جملته:

يا أخا بشرنا تأخرت عنا قد أسأنا ببعد عهدك ظناً
كم تمنيت لي صديقاً صدوقاً فإذا أنت ذلك المتمنى
فبغصن الصبا لما تثنى وبعهد الصبا وإن بان عنّا
كن جوابي لكي ترد شبابي لا تقل للرسول كان وكنّا (46)

وذكر الشيخ عدداً من المدارس في الحويزة وتستر وشيراز وأصفهان والبصرة والبطائح نذكر منها في الحويزة مدرسة الشيخ عبد الله الجامعي، ومدرسة الشيخ علي آل بوصوف، ومدرسة الشيخ عباس الطرفي، ومدرسة شيخ الإسلام، ومدرسة الشيخ يعقوب، ومدرسة عبد علي العروضي (47).وذكر بعض العلماء والأساتذة والشيوخ الذين تتلمذ عليهم، أو شاركهم في الدراسة والتدريس والتأليف وبناء المراكز العلمية، منهم العلامة محمد باقر المجلسي صاحب موسوعة (بحار الأنوار) الذي مكث عنده أو قريباً منه أربع سنين في الجد والاجتهاد والتأليف والتدريس في مدرسته في أصفهان، والقاضي الشيخ يوسف بن محمد البناء الجزائري، والفقيه محمد بن سلمان الجزائري، والمحدث فرج الله بن سليمان الجزائري، والشيخ الشاعر حسين بن سبتي الحويزي والمحقق أبو الولي بن تقي الشيرازي، والفاضل إبراهيم بن صدر الدين الشيرازي، والمحدث صالح بن عبد الكريم البحراني، والسيد هاشم الإحسائي، والشيخ جعفر البحراني، والشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي صاحب تفسير (نور الثقلين)، وعماد الدين اليزدي (48). أمّا عن العلاقة الإنسانية بين الطالب والمعلم أو الشيخ، فهي علاقة اتسمت بالمرونة والمتابعة حسب الفئة العمرية للدارسين، ولم تترك الحبل على الغارب، ومنحت هذه العلاقة سمة مقدسة ومسؤولية أبوية وأخلاقية أمام الله (ﷻ) والمجتمع، فكان عنصر الاخلاص والجد منذ اللبنة الأولى في البناء التعليمي والتربوي، وكلما تقدم العمر الدراسي أو المرحلة العلمية، كلما بدأت تتضح معالم مسؤولية المتعلم تجاه المعلم والمادة العلمية، ويبدأ المعلم ممارسة أسلوب الثواب والعقاب، ولو بأبسط صوره، لكي لا يشعر الطالب أنه في مهمة سائبة أو وقت ضائع غير مسؤول. وثمة قيم تربوية وقواعد خلقية تنظم العلاقة بين الطالب والشيخ والمعلم والعالم والمجتمع، وأساليب سلوكية في التعامل مع أدوات الكتابة والكتاب، وتنظيم المكتبة في أجواء ترقى إلى التقديس والتبجيل، قال الشيخ نعمة الجزائري: كنا جماعة عند الشيخ جعفر البحراني يدرسنا (علم القراءة) وكان يشجعنا على الدرس، وعلى فهم معناه من المطالعة، ويقول أن الأستاذ إما هو للتيمن والتبرك، وإلاّ أن فهم الدرس وتحقيق معناه إنما هو من مطالعة التلميذ(49)، ويصر دائماً التأكيد على المواظبة والمواصلة في حضور المحاضرات والدروس، فيذكر الشيخ: أن أحد شيوخه في المدرسة المنصورية بشيراز قال له: أيها الولد إياك أن تجعل نفسك شيخاً للقبيلة، وتحب الرئاسة فيضيع بها وقتك وتهجر العلم، وفي مرة أخرى تأخر يوماً عن حضور درس ذلك الشيخ بسبب انشغاله بمأتم أحد أصدقائه، فلما جاء في اليوم الآخر امتنع الشيخ عن تعليمه لأنه فرط في حضور الدرس، وقال له يجب أن تحضر الدرس ثم بعد ذلك تذهب إلى عزاء صديقك، وأخذ عليه عهداً أن لا ينقطع عن الدرس مهما كانت الأحوال، حتى تنتهي مفردات المنهج الدراسي(50). ويشير إلى أكبر أساتذته علماً وموهبة ورعايته الخاصة له وهو في عقد الثلاثين من عمره، ومستوى العلاقة الأبوية والتربوية بينهما، ذلك

هو المولى الثقة الأوحد العديم النظير البارع في التقرير والتحرير، أفضل المتأخرين وأكمل المتبحرين، محيي آثار الطاهرين (محمد باقر بن محمد تقي المجلسي) وأحله منه محل الولد البار من الوالد المشفق الرؤوف، والتزمه بضع سنين لا يفارقه ليلاً أو نهاراً، كان ممن يستعين بهم في تأليف موسعته (بحار الأنوار)، وشرحه الكافي الموسوم بمرآة العقول، ويخصه عن سائر الأصحاب والأتراب بمزيد من اللطف والتكريم، ويثني عليه في المحافل ويوقره ويرفع منزلته على أقرانه، ويحسن الظن به جداً ويصوب تحقيقاته ويميل إلى ترجيحاته [51]، وفي أحد لقاءاته مع أحد المولعين بطلب العلم في منطقة محاذية إلى مدينة (تستر) وكان حاكماً للمنطقة اسمه (محمد زمان) وعالماً كريماً سخياً لا يقارب في الكرم، فلما سمع بوصول الشيخ فزاره وبدا يتحاور معه في أحد شروح الصحيفة السجادية، وكنت احترمه في الحوار، فجلس على ركبته ورمي حلته الرسمية من فوق ظهره وقال: تكلم كما كنت تتكلم في المدرسة مع طلبة العلم ولا تتهيب مني، فتباحثا أياماً، وكان ينقله من علم إلى علم، وكان يسبقه في الكلام فمكث في بلاده ثلاثة أشهر تقريباً على هذه الحال، ويقول عنه فما رأيت أحداً أفهم منه ولا أفصح منه لساناً . ثم عاد إلى الجزائر وسط البطائح مسقط رأسه، وقد عبأ من كل بحر ونهر، وقلب كل فن بطناً على ظهر [52].وكانت عودته إلى أهله ووطنه مناسبة للاحتفال والبهجة تتناسب مع منزلته العلمية وجهاده في التحصيل العلمي والثقافي والتربوي، وبعد إيام من عودته سار في منطقته بين القرى يدعوهم إلى فضيلة العلم والعرفة، ويشجعهم على تأسيس الكتاتب والمدارس والمساجد، وبعقد الندوات والاجتماعات فكانت جهوده أثمرت نهضة علمية وتربوية ظهرت نتائجها واضحة بعد ذلك، وحينما هاجر إلى الحويزة ثم بعدها إلى تستر كان وجوده بين الشريحة المثقفة الواعية في الصدارة، وأخذ يؤيدهم في تطوير مؤسساتهم العلمية والتربوية في كل الاتجاهات وجرى على يديه تأسيس عدد من دور العلم والدراسة والمكتبات، والتوعية الدينية والاجتماعية في منطقة كانت تكثر فيها المنازعات العشائرية والطائفية، ويكفي أن نعرف أن مكتبته الشخصية في مدينة تستر تضم (12) أثني عشر ألف مجلد لمختلف العلوم والآداب ومفتوحة لعموم طالبي المعرفة والثقافة [53].

الخاتمة:

ختاماً ففي حقب من تاريخنا الشامخ وانجازاتنا الفكرية والثقافية، ظهرت ومضات فذة متميزة تجاوزت وقتها وعلت على زمانها، وسط آفاق من الظلام الدامس، يندر للفكر الإنساني أن يأتي بمثلها، كانت ترصد غفلة من عيون الكيد والتخلف، وتفتش عن متكأ وملجأ وسط المحول والنحول كي تأتي بالإبداع الفكري والعلمي والثقافي زيادة وتفوقاً على المعتاد في ظرف افتقدت فيه عوامل التطور والإبداع وتكاتفت فيه صور الانهيار والاضمحلال.

اذ توفرت معظم عناصر الابداع في فكر ذلك العالم الفذ، التي هي الموهبة والشجاعة والطموح والرغبة الجامحة للخلق والابداع، رغم العواتي والمطبات المعاكسة للمسيرة العلمية والثقافية وتقدم الانسان نحو الافضل، ولهذه السمات الكريمة التي اتسم بها نتاج هذا المفكر اسبابها ودواعيها، فقد استقى اصول ثقافته وتعليمه من منابعها الاصيلة الصافية التي هي من منطلقات الفكر الاسلامي النير الذي تأسس بالدعوة الى طلب الايمان بالعلم بقول تعالى (اقْرَأْ) (قل لن تؤمنوا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) ومسيرته التي حمل مشاعلها الرسول الاعظم (ص) واهل بيته الاطهار واصحابه الاخيار، لذلك فقد اخذ ذلك العالم والكاتب والمؤرخ من كل فن بطرف، ولولا ان موضوعنا يتعلق بالتاريخ تحديداً لتوسعنا في موضوعات اخرى، اشار اليها والف فيها كتباً منها التخلص من الامراض والاوبئة التي تحصد الف البشر فالف كتابا في كيفية مواجهة هذه الاوبئة بعنوان (مسكن الشجون في الفرار من الطاعون) فصل فيه التصدي لتلك الكوارث، والف في الاعتدال في كيفية استعمال وسائل الطاقة واثرها على راحة الانسان، والف في الادارة والقيادة الناجحة للمجتمعات

والقيادات الانسانية في الحكم والقضاء والثروة، وتناول الجانب التربوي ومستوى العلاقة بين الاستاذ وطالب العلم والتضحية الفائقة والتذلل المؤدب بينهما، وخير ما يمثلها علاقته المتينة مع استاذه العلامة (محمد باقر بن محمد تقي المجلسي) مؤلف كتاب موسوعة (بحار الانوار) التي بلغت (120) مجلدا كبيرا مطبوعة حاليا ومرصوفة في رفوف المكتبات وكتاب (مراءة العقول) في شرح الكافي . فقد مكث مع استاذه في بيته بضع سنين وكان يقول رغم لقاءاتي اليومية المتكررة كانت هيبته في نفسي كهيبة الاسد) وما قدمناه عن انجازاته العلمية والثقافية ماهو الا غيض عن فيض.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

الهوامش:

(1) الحيدري، إبراهيم فصيح، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ط بغداد، 1962، ص179.

(2) الجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية، ط بيروت، 2014، ج4، ص338، والجابري، محمد هليل، دولة المشعشعين، ط بغداد، 1973، ص243-246.

(3) جواد، د. مصطفى، الأدب العراقي في العصر المغولي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج3، ج2، ص312-321، ط بغداد، 1955، والعزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ط بغداد، ج5، ص44.

(4) الأنوار النعمانية، ط بيروت، 2012، المقدمة ص1-30.

(5) الجزائري، نعمة الله، الانوار النعمانية : نعمة الله بن عبد الله الجزائري ، ط بيروت ، 2008م: 320/4.

(6) الجزائري، نعمة الله، الانوار النعمانية، المصدر السابق: 325/4.

(7) التستري، عبد الله، الإجازة الكبيرة، ط قم، 1409هـ، ص209.

(8) المصدر نفسه ، ص210.

(9) المصدر نفسه، ص209.

(10) الجزائري، نعمة الله، مصدر سابق: 315/4.

(11) المصدر نفسه: 318/4.

(12) المصدر نفسه : 320/4.

(13) الجزائري، نعمة الله، زهرة الربيع، ط النجف، 1954: 140/1

(14) التستري، عبد الله ، تذكرة تستر، ص73.

(*) وردت هذه المراسلة في كتاب زهر الربيع للعلامة نعمة الله بن عبد الله الجزائري (1050-1112هـ) ، ط النجف، 1954م، ج2، ص128، وأُشير للحادث في المراجع التحفة النبهانية، ص267، كلش خلفا، ص203، العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين 70/4، والحويزي، علي بن عبد الله، الرحلة المكية، ط بغداد، 2021، ص170-174، والأبيات إلى نصر بن سيار الكناني عامل خراسان في العهد الأموي، ذكرت للتنبيه والموعظة ديوانه، ص40. وتعد هذه المراسلة من الوثائق النادرة والمهمة في مستوى الصراع بين العثمانيين والعراقيين ومقاومة العراقيين .

(15) الحويزي، علي عبد الله، الرحلة المكية، ص785.

(16) يُنظُر: الأنوار النعمانية: 219/4.

(17) الجزائري، نعمة الله، النور المبين، ط بيروت، 2014: 11.

(18) المصدر نفسه: 12.

(*) ترجم عدد من الأعلام لأنفسهم وترجم لهم مثلاً مهاتما غاندي في كتابه تجاربي مع الحقيقة ونهرو في صفحات مطوية من تاريخ العالم، آغا خان في مذكراته، جان جاك روسوفى اعترافاته، لورنس في أعمدة الحكمة السبعة، كلوب باشا في جندي مع العرب، طه حسين في الأيام، توفيق الحكيم في قاضي في الأرياف، سليمان فيمضي في غمرة النضال، نعمة العزاوي في سيرة زكي مبارك... الخ.

(19) الأنوار النعمانية: 4/209-210.
(20) التستري، عبد الله، الإجازة الكبيرة، ص82، والجزائري، نعمة الله، الأنوار النعمانية، 4/320.
(21) أبو زيد، أحمد وآخرون، دراسات في الفلكلور، أحمد أبو زيد وآخرون : 192.
(22) علم التراث الشعبي، لطفي الخوري، ط بيروت، 1965، ص25.
(23) علم الفلكلور، الكسندر كراب، ط القاهرة، 1967، ص21.
(24) إحياء التراث الشعبي: 30.
(25) الحياة الشعبية في ميسان: 18.
(26) لقد أبدع في هذا العلم عالم الاجتماع العراقي، أ.د. علي الوردي، في كتابه طبيعة المجتمع العراقي ودراسات أخرى.
(27) زهر الربيع :ص7.
(28) المصدر نفسه: ص 16-17.
(29) الأفعى الجرهمي: أحد الحكماء ورد ذكره في كتب التراث . المصدر نفسه ، ص647.
(30) زهر الربيع، ص647.
(31) المصدر نفسه ، ص 53.
(32) المصدر نفسه ، ص649.
(33) المصدر نفسه، ص272.
(34) المصدر نفسه، ص 273.
(35) زهر الربيع 1/134- 135.
(36) الانوار النعمانية 3/19- 21.
(37) المصدر نفسه 3/19- 21.
(38) زهر الربيع 2/218- 219.
(39) المصدر نفسه 2/205.
(40) الأنوار النعمانية: 3/326.
(41) المصدر نفسه: 3/338، لونكرنك، وأربعة قرون من تاريخ العراق: 5.
(42) الأنوار النعمانية: 3/170.
(43) شبر، جاسم، تاريخ المشعشعين: 184.
(44) الكعبي، فتح الله، زاد المسافر، ط البصرة، 1924.
(45) الأنوار النعمانية: 3/338.
(46) المصدر نفسه: 3/170، 388.
(47) المصدر نفسه: 3/389، والجابري، محمد هليل، إمارة المشعشعين: 244.
(48) التستري، السيد عبد الله، الإجازة الكبيرة، ط قم، 1409هـ: 67-82.
(49) الأنوار النعمانية: 4/209-211.
(50) المصدر نفسه: 4/215.
(51) الإجازة الكبيرة: 73.
(52) الأنوار النعمانية: 4/220.
(53) الإجازة الكبيرة: 73.

مصادر ومراجع البحث:

1- أبو زيد، أحمد ، دراسات في الفلكلور، طبعة عمان، 1980.
2- التستري، عبد الله بن نور الدين الجزائري، الإجازة الكبيرة، ط قم، 1409هـ.
3- الجابري، محمد هليل، دولة المشعشعين، طبعة بغداد، 2021.
4- الجزائري، السيد نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، طبعة بيروت، 2014.
5- الجزائري، نعمة الله بن عبد الله، الأنوار النعمانية، أربعة أجزاء، طبعة بيروت.
6- الجزائري، نعمة الله، زهر الربيع، طبعة النجف، 1954.

7- الجزائري، نور الدين بن نعمة الله، فروق اللغات، طبعة النجف، 1380هـ.
8- جواد، د. مصطفى، الأدب العراقي في العصر المغولي، مجلة المجمع العلمي العراق، مج 3، طبعة بغداد، 1955.
9- الحويزي، الشاعر علي بن خلف، ديوان خير أنيس لخير جليس، طبعة بغداد، 2012.
10- الحويزي، المؤرخ علي بن عبد الله بن علي بن خلف، موسوعة الرحلة المكية، طبعة بغداد، 2021.
11- الحيدري، إبراهيم فصيح ، أحوال البصرة، طبعة بغداد، 1961.
12- الحيدري، إبراهيم فصيح ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، طبعة بغداد، 1962.
13- الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج8، طبعة طهران، 1390هـ.
14- الخياط، أ.د. جعفر، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، طبعة بغداد، 1971.
15- الشرقي، علي ، الحالة العلمية والحركة الفكرية في النجف، طبعة بغداد، 1926.
16- الشرقي، علي ، العرب والعراق، طبعة بغداد، 1963.
17- طرازي، فليب دي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، طبعة بيروت، 1947.
18- العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، عدة أجزاء، طبعة لبنان، صيدا.
19- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج4، 5، 6، طبعة بغداد، 1956.
20- العلوجي، عبد الحميد، المدخل إلى الفلكلور العراقي، طبعة بغداد، 1962.
21- كراب، الكسندر ، علم الفلكلور، طبعة القاهرة، 1967.
22- الكعبي، أ.د. كريم علكم، الحياة الشعبية في ميسان، طبعة النجف، 2010.
23- الكعبي، فتح الله، زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، طبعة بغداد، 1924.
24- لونكرنك، استيفن هملسي، أربعة قرون من تاريخ العراق، طبعة بغداد، 1968.
25- النبهاني، محمد خليفة، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (البصرة)، طبعة القاهرة، 1980.
26- النداوي، عبد الكريم، تاريخ العمارة وعشائرها، طبعة بغداد، 1961.
27- الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، طبعة بغداد، 1959.

Research sources and references:

1- Abu Zaid, Ahmed, Studies in Folklore, Amman Edition, 1980.
2- Al-Aluji, Abdul Hamid, Introduction to Iraqi Folklore, Baghdad Edition, 1962.
3- Al-Amili, Mohsen Al-Amin, Shiite notables, several volumes, Lebanon Edition, Sidon.
4- Al-Azzawi, Abbas, The History of Iraq between Two Occupations, Part 4, 5, 6, Baghdad Edition, 1956.
5- Al-Haidari, Ibrahim Fasih, Basra Affairs, Baghdad Edition, 1961.

6- Al-Haidari, Ibrahim Fasih, title of glory in the statement of the conditions of Baghdad, Basra and Najd, Baghdad edition, 1962.
7- Al-Hilali, Abdul Razzaq, History of Education in Iraq in the Ottoman Era, Baghdad Edition, 1959
8- Al-Huwaizi, historian Ali bin Abdullah bin Ali bin Khalaf, Encyclopedia of the Meccan Journey, Baghdad Edition, 2021.
9- Al-Huwaizi, poet Ali bin Khalaf, Diwan of Khair Anis Lakhair Jalees, Baghdad Edition, 2012.
10- Al-Jabri, Muhammad Halil, The State of Al-Mushasha'in, Baghdad Edition, 2021.
11- Al-Jaza'iri, Mr. Ni'mat Allah, The Light Shown in the Stories of the Prophets and Messengers, Beirut Edition, 2014.
12- Al-Jaza'iri, Ni'mat Allah bin Abdullah, Al-Anwar Al-Nu'maniyyah, four parts, Beirut edition.
13- Al-Jaza'iri, Ni'mat Allah, Flower of Spring, Najaf Edition, 1954.
14- Al-Jaza'iri, Nour Al-Din Bin Ni'mat Allah, Differences of Languages, Al-Najaf Edition, 1380 AH.
15- Al-Kaabi, Fath Allah, The Traveler's Zad, the Resident and the Present, Baghdad Edition, 1924.
16- Al-Kaabi, Prof. Dr. Karim Alakom, Popular Life in Maysan, Najaf Edition, 2010.
17- Al-Khawsari, Muhammad Baqir, Kindergartens of Paradise in the Status of Scholars and Sadat, Part 8, Tehran Edition, 1390 AH.
18- Al-Khayyat, Prof. Dr. Jafar, Pictures from the History of Iraq in the Dark Ages, Baghdad Edition, 1971.
19- Al-Nabhani, Muhammad Khalifa, Al-Tahfa Al-Nabhani in the History of the Arabian Peninsula (Basra), Cairo Edition, 1980.
20- Al-Nadawi, Abdul Karim, History of architecture and its clans, Baghdad edition, 1961.
21- Al-Sharqi, Ali, Arabs and Iraq, Baghdad Edition, 1963.
22- Al-Sharqi, Ali, The Scientific Status and Intellectual Movement in Najaf, Baghdad Edition, 1926.
23- Al-Tastari, Abdullah bin Nour Al-Din Al-Jazaery, Al-Ijazah Al-Kabeerah, Qom, 1409 AH.
24- Jawad, Dr. Mustafa, Iraqi Literature in the Mughal Era, Journal of the Scientific Council of Iraq, Volume 3, Baghdad Edition, 1955.
25- Krapp, Alexander, Folklore, Cairo Edition, 1967.

26- Luttkerk, Stephen Hemelsey, Four Centuries of the History of Iraq, Baghdad Edition, 1968.
27- Tarazi, Flip Di, The Arab Bookcases in Al-Khafiqin, Beirut Edition, 1947.

كتابات تاريخية موثقة في تصانيف العلامة نعمة الجزائري
(1050-1112هـ/ 1640-1700م)

أ.م.د. فردوس عبد الرحمن كريم

Historical Writings Are Documented In The Classifications Of The Scholar NEMA ALJAZAERY (1050 - 1112 A.H. / 1640 - 1700 A.D.)

Assist. Prof. Dr. FERDAWS ABDULRAHMAN KAREEM
Al-Mustansiriyah University \ College of Arts - Department of History
drfirdowsa@uomustansiriyah.edu.iq
07729414206

ABSTRACT :

In the previous pages there is a creative energy that arose, learned, innovated and produced in an era and environment in which creation and creativity are from the world of dreams . Due to the accumulated pitfalls of damage , weakness , varied and multiplied in its way the obstacles and obstacles that prevented it from the paths of development and prosperity of civilization and intellectual with the intensification of crises and subsequent setbacks .Some luminous torches have emerged to give the Arab Islamic thought the spirit of permanence, survival and continuity .Even in dim lights so that the Arab-Islamic life does not turn into nothingness

So the scholar, writer, historian NEMAT ALLAH ALJAZAERY was one of the most distinguished people who contributed to extend the intellectual, cultural, literary and historical communication circles in the Arab-Islamic heritage in his time and the ages that preceded it in order to link after that to the modern era

From the beginning of his upbringing to the end of his life .He was fond of seeking knowledge, spreading it , promoting it, like a worm that does not give up and does not get bored. On his travels, he would take with him what books he could. If the caravan descended, he put it and worked with it until the time of departure . He might take the book in his hand and read it while he was on his back of the animal was on the journey . Where he was for his intensity of passion in science and knowledge that he roamed in many places and countries while he was still a boy . He faced various kinds of hardships and misfortunes in order to achieve his desires until he reached the state that he did not find anything to fill his soul or to eat or light his lamp to read . He was facing life with a wondrous determination, high will and unwavering determination, persistent , diligent and persistent . He increases attachment and care in his books. Where he excelled in many sciences , arts , he classified , wrote in history, speech , prose , , interpretation, jurisprudence, grammar and literature . His books are mostly benefit to people . Because they are in touch with his daily life , tackle with their cases , behaviors , plant in their spirits love of virtues and wellness

Keywords:Historical writings, classifications, NEMA ALJAZAERY, documentation